

الفصل الأول

التأليف في الأضداد

أسباب التأليف واهدافه

كان الاستلطاف سببا في ظهور أول كتاب خالص بالأضداد، فقد أعلن قطرب في صدر كتابه: "وإنما خصصناه بالإخبار عنه لنقلته في كلامهم ولطرافته". وكان لهذا السبب أثره الكبير في الهندف الذي تصبه المؤلفون أمام أعينهم. فقد كان الجمع المستقصى، والشمول التام هدفا لهم، عند الكتاب الأول أيضا. قال قطرب: "وسنأتي عليه كله إن شاء الله".

وسرعان ما تغير هذا السبب، إذ تحول عند الجيل التالي إلى سبب ديني. قال أبو حاتم السجستاني: "حملنا على تأليفه أننا وجدنا من الأضداد في كلامهم والقلوب شيئا كثيرا، فأوضحنا ما حضر منهُ، إذ كان يجيء في القرآن الظن يقينا وشكا، والرجاء خوفا وطمعا. وهو مشهور في كلام العرب.. فأردنا أن لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال: ﴿وانها لكبيرة إلا على الخاشعين، الذين يظنون...﴾ مدح الشاكين في لقاء ربهم وإنما المعنى يستيقنون... وأما قوله: ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة، إن نظن إلا ظنا﴾ فهؤلاء شكاك كفار".

وتضع هذه العبارة أيدينا على أشياء من التغير عرضت للتأليف في الأضداد غير السبب أيضا. فالأضداد التي اتسمت "بالقلة والطرافة" عند قطرب، صارت عند أبي حاتم "شيئا كثيرا". والهدف الذي كان يطمع في "الإتيان على الأضداد كلها" عند قطرب، تواضع عند أبي حاتم واقتصر على "ما حضر منها". وبدلنا هذا على أن المؤلفات في الأضداد كثرت، واختلفت مادتها، فجعلت أبا حاتم ينظر إليها نظرة تختلف عن المؤلفين السابقين عليه، الذين لم

تكن بين أيديهم كتب تكشف عن قدر المادة، فظنوا أنهم قادرون فى يسر على حصرها واستقصائها.

وتغير السبب مرة أخرى فى الجيل التالى، فصار الدفاع عن اللغة العربية، والرد على مطاعن الشعوبيين، كما نفهم من النص الذى أورده فى فصل سابق من كتاب ابن الأنبارى، ووصف من رد عليهم "بأهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب".

أما الهدف فعاد كما بدأ مرة أخرى: استيعاب الجمع، غير أن مؤلفى هذا الجيل كانوا يتطلعون إلى هذا الجمع فى ثقة دونها ثقة الأولين، إذ وجدوا بين أيديهم ما ييسر عليهم السبل إلى هدفهم. وكان مفهوم الجمع عندهم مختلفا عن مفهومه عند قطرب. فقد كان هذا يستهدف جمع الأضداد التى فى اللغة العربية أما مؤلفو هذا الجيل فكانوا يستهدفون جمع الأضداد المدونة فيما ألف السابقون عليهم.

وأضاف ابن الأنبارى إلى الجمع أهدافا أخرى تتصل بطريقته فى عرض مادة كتابه: قال^(١): "وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة، وضنقوا فى إحصائها كتباً، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءاً، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها. فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا على حسب معرفتى ومبلغ علمى ليستغنى كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه. إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يعدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد".

ونجد كل هذه الأهداف أو أغلبها عند أبى الطيب، قال^(٢): "تحريتنا فى تأليفه - بعدما سبق من كتب السلف فى معناه - إحكام تصنيفه، وإحسان ترصيفه، والزيادة على ما ذكر منه، وإلغاء ما خلط من غيره فيه، لتقوى مُنة القائلين به، ويضعف قول النافين له".

(١) ١٣.

(٢) ١ - ٢.

وجاءت الأجيال التالية، فوجدت أهل القرن الرابع فرغوا من جمع الأضداد المتفرقة فى الكتب الكثيرة، ومن تمحيصها ونقدها، ومن جمع الشواهد عليها. وكانت الغايات التعليمية قد غلبت عليهم، فاستهدفوا التيسير على طلابهم، وتمهيد السبل أمامهم ليحفظوا علومهم. فجعلوا من كثير من المواد قوائم عارية. وذلك ما نراه عند ابن الدهان فى قوله: "فإنه لما كثرت تصانيف العلماء فيما ورد من الألفاظ المتضادة المعانى من العرب، ورأيت فى بعض كتبهم أشياء لا يجب ذكرها، وفى بعضها اختلالا فيما يجب ذكره، ورأيت بعضها مشحونة بالاستشهادات، بأمثلة وأبيات، أحببت أن أجمع ما ورد فيها مختصرا، معرّى من الاستشهادات".

وانقضت قرون لم تصل إلينا منها كتب فى الأضداد، إلى أن كان القرن الثالث عشر آخر قرون التأخر الأدبى، والشغف بالمحسنات اللفظية. فكان تيسير الوصول إلى هذه المحسنات سببا فى عودة التأليف فى الأضداد. قال السيد عبد الهادى نجا الإبيارى صاحب منظومة "دورق الأنداد فى نظم أسماء الأضداد" المؤلفة قريبا من عام ١٢٩٧هـ، عما دفعه إلى هذا النوع من التأليف.

أسماء الأضداد أسمى ما يعين أديباً — بما رام تأنيق أو ترنيق ما نظما
بها يحلّى بتجنيس وتورية — نظما ونثرا، ويَجلى لهم والغمما

ونستبين من هذا أن الدافع الذى حمل اللغويين على تدوين الأضداد لم يثبت على مر العصور، بل تغير من جيل إلى آخر. فقد بدأ هوية فى القرن الثانى، ثم صار تقوى تحمل على إزالة ما قد يعترى بعض الآيات من غموض فى القرن الثالث، ثم تحول إلى رغبة فى الدفاع عن العرب ولغتهم أمام الدعاوى الشعبية فى أوائل القرن الرابع، وحب المعرفة المجرد فى ذلك القرن أيضا، وانتهى إلى الرغبة فى منح الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة فى العصور المتأخرة. وتغير الهدف الذى سعى إليه كل من هؤلاء المؤلفين. فبينما كان أولهم قطرب يسعى إلى استقصاء الأضداد من نهر اللغة مباشرة، استكثر هذا

أبو حاتم ووجد ألا سبيل إليه واقتصر على التطلع إلى جمع ما أمكن. ثم سعى ابن الأنباري إلى "الجمع"، ولكن من الكتب المؤلفة قبله، وإضافة بعض الشواهد والعلل. وسعى أبو الطيب إلى ذلك، مع التمهيص والنقد. ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا.

بواكير جمع الأضداد

تجلى لنا أن الحديث عن الأضداد بدأ مبكرا في اللغة العربية، وأن كثيرا من اللغويين الأولين خاضوا فيه. فكان منهم من التقط اللفظ بعد اللفظ، ونبه إلى أنه من الأضداد مثل أبي عمرو. وكان منهم من عقد للألفاظ واحدا من فصول أحد كتبه، مثل ابن قتيبة. وكان منهم من أفرد للأضداد كتابا مستقلا، مثل قطرب.

وأقدم من عثرت على إشارات منه إلى الأضداد الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى حوالى سنة ١٧٠هـ، وكان يعد الأضداد "من عجائب الكلام ووسع العربية"^(١). فأشار إلى قدر منها في كتابه "العين"، غير أن ابن سيده الوحيد ممن عالج الأضداد ونقل واحدا منها عنه، قال في المخصص^(٢): "صاحب العين: حصباء الحصى: صغارها وكبارها". وكان يجدر به أن يعرف الحصباء بالحصى مجردا، ومهما كان حجمه، كما فعل صاحب القاموس المحيط، فتخرج الكلمة عن الأضداد.

وروى قطرب واحدا من الأضداد عن يونس بن حبيب، المتوفى حوالى ١٨٢ هـ، قال^(٣): "قال يونس: الرغوث: التي يرغثها ولدها من الشاء، فصارت في معنى مرغوثة، والولد أيضا رغوث، والمعنى أنه راغث لها، فصار رغوض للمفعول والفاعل".

(١) العين : مادة شعب.

(٢) المخصص ١٣ : ٢٦٦.

(٣) ١٧ . وأورده ابن الأنباري ٢٤٣، وأبو الطيب ٣٠٨.

كذلك أورد أبو الطيب ضداً آخر منه، قال^(١): "عن يونس قال: سمعت أعرابياً يذكر مصدقاً لهم، فقال في كلامه: فئمقه بعد ما نمقه: أى محاه بعد ما كتبه".

والنص الأخير صريح أن يونس التفت إلى المعنيين المتضادين وفسرهما، إلا أن النص الأول لا يدل بهذه الصراحة على أن الكلام كله عن يونس. فمحتمل أن يكون أورد واحداً من المعنيين وأورد قطرب الآخر.

وروى أبو عبيد في الغريب المصنف ثلاثة أضداد عن الكسائي، المتوفى حوالى ١٨٩هـ أورد أبو حاتم اثنين منهما فى المجموعة التى شك فيها، وهما أفاد وأودع. وقد أورد ابن الأنبارى أولهما فقط، وعقب أبو الطيب على ثانيهما بذكر شك أبى حاتم فيه. أما الأول فذكره دون تعليق ولم يورد الثالث منها غير أبى عبيد: "الكسائي: غيببت الكلام، وغبى عنى". وينسب ضد واحد أو ضدان إلى مجموعة أخرى معاصرة من اللغويين مثل أبى محمد يحيى ابن المبارك اليزيدى، المتوفى ٢٠٢هـ، وأبى محمد عبد الله بن سعيد- الأموى.

فإذا استثنينا الخليل- بسبب معجمه - لم نجد لغوياً من هذا الجيل تروى عنه أضداد كثيرة، وإنما هى كلمات قلائل، ترد عليه عارضة فى أثناء دروسه، فيتنبه إليها فينبه عليها، أولاً يتنبه ويكتفى بالتفسير. فتعلق فى ذهن أحد التلاميذ ويفطن إلى ما فيها من تضاد فيدونها فى كتابه. ثم تكثر الأضداد عند لغوىي الجيل التالى، على تفاوت بينهم.

فما ينسب إلى الفراء المتوفى فى ٢٠٧هـ مماثل ما نسب إلى الجيل السابق ندره، لا يتعدى الضد أو الاثنين. قال محمد بن الجهم، عن لفظ (تحنث)^(٢): "فسألت الفراء عنه ففكر ساعة، ثم قال: يتحنث: يتجنب الحنث، يقال: قد تحنث الرجل: إذا تجنب الحنث، وإذا أتاه أيضاً، كما يقال: قد تأثم إذا أتى المأثم، وإذا تجنبه".

(١) ٦٤٩ .

(٢) ١١١ .

وتكثر الأضداد بعض الشيء عند أبي عمرو الشيباني، المتوفى فى ٢٠٦ أو ٢١٠هـ. فقد نسب إليه أبو الطيب ما اقتصر فيه على الأضداد دون شواهد، مثل: ^(١) "أبو عمرو الشيباني: يقال: قد تهاجروا على الطريق: أى تبع بعضهم بعضا على الطريق ويتاجروا عن الطريق، أى عدلوا عنه". ونسب إليه ما أتى فيه بالشواهد، مثل^(٢): "قال أبو عمرو الشيباني: المائل القائم، والمائل اللاطيء بالأرض. وأنشد: خلقا كئالفة المحاق المائل..".

وعثرت على مجموعة من الأضداد صرح جامعوها أنهم رووها عن (أبى عمرو)، دون أن يبينوا أيريدون الشيباني أم ابن العلاء. وقد حاولت أن أميز بينها على أساس من المدرسة اللغوية التى تخرّج الراوية فيها، فإذا كان كوفيا كان يروى عن الشيباني، وإذا كان بصريا كان راويا عن ابن العلاء. ولكن المحاولة أخفقت، لأن أكبر كتابين فى الأضداد - كتابى ابن الأنبارى وأبى الطيب - من إنتاج كوفيين، ولكن الرجلين أدخلوا فى كتابيهما كل ما أورده البصريون من الأضداد، فاختلط عندهم التراث البصرى والكوفى. وحاولت أن أعتمد على الكتب القديمة فى الأضداد. فوجدت الظاهرة نفسها متمثلة فيها. فأضداد الأصمعى نفسه تحتوى على ما ينسب إلى أبى عمرو الشيباني صراحة، مثل المائل التى أوردتها، ومثل^(٣): "قال أبو عمرو الشيباني: الجلل: الصغير، والجلل: العظيم. ولا أعرف الجلل فى معنى العظيم". وحاولت أن أعتمد على ما يشيع بين الناس أن القدماء إذا أرادوا الشيباني ذكروا لقبه لا محالة، ولم يتحروا ذلك مع ابن العلاء، فان قالوا: "أبو عمرو" فقط، كان المراد ابن العلاء، فأخفقت المحاولة أيضا. فقد جاء فى أضداد الأصمعى^(٤) وابن الطيب: "حكى أبو عمرو: الخجل: المرح. والخجل: الكسل، وأنشد:

(١) ٦٨٧ .

(٢) ٦٢٦ . وأورده ابن الأنبارى ١٨٤، وابن الدهان ١٩ .

(٣) ٦ . وأورده ابن الأنبارى ٥٢، وابن الدهان ٨، ونسبه أبو الطيب إلى الشيباني أيضا ١٥٠ .

(٤) ١٢ . وأورده أبو الطيب ٢٥٠ . وابن السكيت ٢٨٧ .

إذا دعا الصارخ غير متصل مرا أمرتُ كل منشور خجل

مرا: جمع مرة، أراد مرة بعد مرة. منشورا: أى منتشر امره". وأورد ابن السكيت كل هذا ونسبه صراحة إلى الشيباني.

لهذه الأسباب أميل إلى أن المراد بأبى عمرو هنا هو الشيباني. وتكشف هذه الأضداد أن أبا عمرو أورد أضدادا من اللغات العربية، وأضدادا مجازية، وما يندرج تحت صيغة فعول.

ثم تكثر الأضداد وتتنوع عند أبى زيد الأنصاري، المتوفى سنة ٢١٥، وعاصر التأليف فى الأضداد. فنجد عنده من الأضداد ما لم يستشهد عليه، مثل قوله^(١): " يقال: جمل سهو بَيْن السهاوة: إذا كان بطيئا، ودابة سهوة: خفيفة سهلة السير". ونجد ما استشهد عليه مثل^(٢): "قال أبو زيد: الشَّيف من الأضداد. يكون لهب الحر، ويكون برد الريح. وأنشد فى لهب الحر: جاءت تشكى لهب الشيف

وأنشد فى البرد:

فالجأها إلى نارى الشيف"

وروى من الأضداد ما قبله اللغويون بعده فأدخلوه فى كتبهم، وروى ما ضعّفوه أيضا مثل^(٣): قال أبو زيد: يقال: تصدّق الرجل يتصدق تصدقا: إذا أعطى صدقته. قال: وبعض العرب يقولون: تصدق يتصدق: إذا سأل أن يتصدق عليه. قال أبو حاتم: والمعروف عند العرب تصدق إذا أعطى الصدقة".

وأورد منها ما يمكن رد تفسيره إلى معنى واحد لا تضاد فيه، مثل^(٤): "قال أبو زيد الفلذ: العطاء القليل والعطاء الكثير. قال الشاعر فى القليل:

(١) أبو الطيب ٣٧٨.

(٢) أبو الطيب ٤١٥.

(٣) أبو الطيب ٤٣٧.

(٤) أبو حاتم ٢٤٣. ابن الأنبارى ٣٤٨. أبو الطيب ٥٥٤.

تَكْفِيهِ فُلْدَةٌ لَحْمٍ إِنْ أَلِمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شَرِبَهُ الْغُمْرُ

وقال العجاج في الكثرة:

فلذُ العطاءِ في السنينِ البِزْلِ

وكان جديرا بأبي زيد أن يعرف الفلذ بأنه العطاء مجردا من الوصف بالقليل أو الكثير، فيخرج اللفظ من زمرة الأضداد.

وأورد أضداد المتعلقات. قيل في أضداد الأصمعي^(١): "قال أبو زيد: طلعت على القوم أطلع طلوعا: إذا غبت عنهم حتى لا يروك. وطلعت عليهم: إذا أقبلت عليهم حتى يروك". وقد خضعت هذه العبارة لبعض التشويه، يكشف عنه قول أبي حاتم: "يقال: طلعت في الجبل: إذا أقبلت فيه أو أدبرت. وطلعت على صاحبي: أقبلت عليه. وطلعت عنه: أدبرت. والمصدر الطلوع" فالنضاد آتٍ من الحرف لا من الفعل.

وأورد من الأضداد المجازية ما مثاله^(٢): "الظعينة: المرأة على البعير، ويجوز أن تكون في بيتها. قال أبو زيد: الظعائن: الهوادج، وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكنن فيها".

وروى له ضد من أضداد التفاؤل، قيل في أضداد الأصمعي^(٣): "قال أبو زيد: الناهل في كلام العرب: العطشان، والناهل: الذي قد شرب حتى روى.. وعلق أبو حاتم على هذا القول بقوله: "فإنما قيل للعطشان ناهل على التّفؤل، كما يقال: المفازة للمهلكة على التّفؤل، ويقال للعطشان: ريان، وللملدوغ: سليم. أي سيسلم وسيروى ونحو ذلك".

(١) ٤٩. أبو حاتم ٢٣٤. ابن الأنباري ٢٠٣، ٣٠٩. أبو الطيب ٤٥٨

(٢) الأصمعي ٦٨. ابن السكيت ٣٤٢. ابن الأنباري ١٠٠.

(٣) ٤٥. أبو حاتم ١٣٥. ابن الأنباري ٦٥. أبو الطيب ٦٣٧.

وروى له من أزداد اللغات عدة ألفاظ، أمثل لها بقوله^(١): "قيس تجعل من لم يدرك من الصبيان فرطا ولا يقولون للكبار فرطا، وغيرهم يجعلونه واحدا".

ونسب أبو حاتم ضدا لأبى زيد، آت عن اختلاف الأصلين المشتق منهما معنيهما، قال^(٢): "قال أبو زيد: يقال: أضعف الرجل: إذا كثرت إبله وفشت ضيعته وانتشرت، وأضعف: إذا كانت إبله ضعافا مهازيل". فالعنى الأول من الضعف بكسر الضاد بمعنى المثلين، والثانى من الضعف - فتح الضاد - أى الهزال.

وبقى بعض الناس يوردون أزدادا، بعد عهد التأليف فيها، دون أن يشاركوها هم فى تدوينها فى كتب خاصة بها. فاقتبس المؤلفون فى الأزداد بعدهم أقوالهم وأدخلوها فى كتبهم. وعلى هذه الصورة كثيرا ما ظهر اسم ابن الأعرابى فى كتب الأزداد، مثل^(٣): "قال: "ابن الأعرابى: يقال: أخلاق مشمولة، أى أخلاق سوء، وأنشد:

ولتعرفنُ خلائقا مشمولة ولتندمن ولات ساعة مَنُدم

قال: ويقال للرجل: مشمول الخلائق. أى كريم الأخلاق". وروى ابن الأنبارى هذا اللفظ دون أن ينسبه إلى أحد.

كتب الأزداد

لم تصل إلينا أخبار يقينية عن أول من ألف فى الأزداد، ولا نستطيع الجزم بذلك، لأن هذا النوع من التأليف ظهر على يد ثلاثة من اللغويين المتعاصرين: هم قطرب المتوفى عام ٢٠٦، وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠هـ، والأصمعى المتوفى حوالى عام ٢١٣.

(١) أبو الطيب ٥٤٧.

(٢) أبو حاتم ١٦٦. أبو الطيب ٤٥١.

(٣) الأصمعى ٦٨. ابن السكيت ٢٩٠. أبو الطيب ٤١٣. وانظر ابن الأنبارى ١٠٤.

ومن الطبيعي ليس من العدل الاعتماد على تاريخ وفاتهم، لأن الأخير منهم في الوفاة قد يكون أولهم في التأليف، إذ ليس الفرق بين وفياتهم بأكثر من سبع سنوات. ولكننا نسير في علاج كتبهم، وفقا لترتيب وفياتهم، اضطرارا. ويطمئننا إلى هذا الترتيب قول الصغاني في مقدمة أضداده: "هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في الكتب المصنفة في الأضداد من عهد قطرب محمد بن المستنير إلى زمان...". فهذه العبارة تجعل المرء يشعر بأن قطربا أول من ألف في الأضداد.

وقد عثرت في أثناء بحثي عن الأضداد على أسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها. وهاك هذه الأسماء مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها:

١ - أضداد قطرب المتوفى عام ٢٠٦هـ : طبعة هانزكلوفر Hans Kofler في مجلة إسلاميات، المجلد الخامس، العدد الثالث، ص ٢٤١.

Islamic: Das Kitab Al-Addad von Abu Ali Muhammed Qutrub ibn Al-mustanir. Vol. 5. Fasc 3. p. 241. Sface. 4. p. 385.

وترجمه وعلق عليه في العدد الرابع ص ٢٨٥ من المجلد نفسه.

٢ - أضداد أبي عبيدة المتوفى عام ٢١٠هـ: مفقود.

٣ - أضداد الأصمعي المتوفى عام ٢١٣هـ: نشره الدكتور أوغست هفندر Dr August Haffner أستاذ العربية في كلية انسبروك، بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، في بيروت عام ١٩١٣ مع أضداد السجستاني وابن السكيت والصغاني في مجلد واحد. (وأشك في كونه للأصمعي).

٤ - أضداد التوزي المتوفى عام ٢٣٣هـ: مفقود.

٥ - أضداد يعقوب بن السكيت المتوفى عام ٢٤٦هـ: انظر أضداد الأصمعي.

٦ - أضداد أبي حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٤٤هـ: انظر أضداد الأصمعي.

٧- أضداد عبيد بن ذكوان من معاصري المبرد: مفقود.

٨ - أزداد أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى المتوفى عام ٣٢٨هـ: نشره هوتسما Th. Houtsma فى ليدن عام ١٨٨١، ثم الشيخ محمد بن عبد القادر سعيد الرفاعى مع الشيخ أحمد الشنقيطى بالمطبعة الحسينية المصرية عام ١٣٢٥هـ، ثم محمد أبو الفضل إبراهيم فى سلسلة التراث العربى التى تصدرها الكويت ١٩٦٠م.

٩ - أزداد ابن درستويه المتوفى عام ٢٤٧هـ: مفقود.

١٠ - أزداد أبى الطيب اللغوى المتوفى عام ٣٥١هـ نشره الدكتور عزة حسن فى دمشق ١٣٨٢ / ١٩٦٣.

١١ - أزداد الآمدى المتوفى عام ٣٧١هـ: مفقود.

١٢ - أزداد أحمد بن فارس المتوفى عام ٣٩٥هـ: مفقود.

١٣ - أزداد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى عام ٥٦٩هـ: نشره محمد حسن آل ياسين فى نفائس المخطوطات بالنجف ١٩٥٢.

١٤ - أزداد أبى البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى المتوفى عام ٥٧٧هـ: مفقود.

١٥ - أزداد الحسن بن محمد الصغانى المتوفى عام ٦٥٠هـ: انظر أزداد الأصمعى.

١٦ - مختصر أزداد ابن الأنبارى لتقى الدين عبد القادر التميمى المصرى المتوفى عام ١٠٠٩ هـ: مفقود.

١٧ - ترتيب المختصر السابق، لابن المختصر ملا حسن: مفقود.

١٨ - دورق الأنداد فى نظم أسماء الأزداد للسيد عبد الهادى نجا الإبيارى المتوفى عام ١٣٠٥ هـ: مصور بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٨٤٤ لغة.

١٩ - الرونق على الدورق: للمؤلف نفسه، شرح فيه دورق الأنداد: مفقود.

٢٠ - الكأس المروق على الدورق، للسيد أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلوانى. شرح لدورق الأنداد ألفه عام ١٣٠٢ هـ تقريباً: مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٤٤ لغة.

٢١ - رسالة فى ذكر بعض الألفاظ المستعملة فى الضدين الموجودة فى القاموس لعبد الله بن محمد، وهو مجهول ولكنه محدث: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤١ مجاميع.

٢٢ - منبه الرقاد فى ذكر جملة من الأضداد لمؤلف مجهول، ولكنه حديث: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٩ لغة.

٢٣ - الأضداد، للشيخ محمد المدنى، مخطوط بمكتبة السليمانية بالآستانة تحت رقم ١٠٤١.

كتاب قطرب

(٢٠٦ هـ)

واذن فالمؤلف الأول فى الأضداد هو أبو على محمد بن المستنير المعروف بقطرب تلميذ سيبويه. وقد درسنا أنواع الأضداد عنده، وعند غيره، من المؤلفين فى الأضداد خاصة، وما زاده كل منهم على سابقه، فلا نعيد القول عن ذلك، ونعنى بإبراز صور تمثل كتبهم، وتوضح طرق تناولهم.

صدر قطرب كتابه بمقدمة قصيرة: افتتحها بتقسيم كلام العرب إلى الأوجه الثلاثة المتقدمة فى أول الكلام عن الأضداد، واختتمها بإشارة إلى استقصائه جميع الأضداد كلها ثم انتقل إلى الأضداد نفسها.

وألف قطرب فى معالجة أضداده، أن يبدأ بذكر المعنيين المتضادين، ثم يذكر الشواهد وما إليها، فيقول مثلاً^(١): "ومن الأضداد أيضا السآمد. والسامد بلغة طيئ: الحزين، وبلغة أهل اليمن: اللاهى، والسامد: اللاعب، وهذا ضد

الحزين. وقالوا أيضا: السامد: المطرق. وقالوا: سمَد الرجلُ يسمُد سمودا: إذا لعب. وقال: المسمود: الطائح الطرف. وقالوا: المسمود: المغمى عليه. وقال الله جل ثناؤه: (وانتم سامدون).

قال ابن عباس: على اللغة اليمانية، التي ذكرناها. وقال الكلبي: سامدون مهتمون على لغة طيء، سمعنا من ينشد:

قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا
وقال رؤبة:

ما زال آساد المطايا سُمدا تستلب السير استلابا مسدا
قال أبو زيد:

وتخال العزيف فيها غناء لندامى من شارب مسمود
وقال ذو الرمة:

يصبحن بعد الطلق التجريد وبعثد سمَد القرب المسمود
ومن الأضداد أيضا: أمر جَلَل: هين، وأمر جَلَل: أى شديد، وقال امرؤ القيس:

لقتلُ بنى أسدٍ ربهم ألا كلُّ شىء سواه جلسل
وقال الآخر:

رسم دار وقفْتُ فى طَلِّله كدتُ أقضى الغداة من جَلِّله
وقال لبيد:

وأرى أربد قد فارقنى ومِن الأرزاء رزء ذو جَلَل
غير عظيم. وقال: يجوز أن يكون غير هين وغير شديد...".

وكان فى بعض الأضداد يتغاضى عن هذه العادة، ويبدأ بمعان غير متضادة، أو بأمثلة، أو يدخل ضدَّين فى بعضهما. قال مثلاً^(١): "واللهيك: وهو الشجاع.

ويقال قد نُهَكَ الرُّضُ ونُهَكَ لغتان، ونُهَكَت الرجلُ نُهاكَةً ونُهَكَةً: قهرته.
ويقال أيضا: نُهَكَ الرجلُ إذا قوى واشتدَّ فالقوة والضعف هما المعنيان
المتضادان، أما الشجاعة فأمر آخر.

وقال^(١): "ومنه أيضا: الاستجمار: هو الاستنجاء بالحجر، وكانت قريش
تجمُر نساءها، وذلك أن تجعل لها كالنزعيتين من نتف وحلق وما أشبه ذلك.
وقال: لا تجمروا جنودكم: أى لا تحبسوهم. قال أبو محمد: يقال: جمرت
المرأة شعرها: إذا جمعتها، ويقال: لا تجمروا جنودكم: أى لا تقطعوا نسلهم.
وفى المغازى: "تقطعوا نسلكم". ويقال للذؤابة: جمار، ولها جماران، وهى
كالضفيرة التى تقيل على الوجه". خلط المعانى، ولم يبين أى اثنين منها
متضادين، وليس فيها معان متضادة. وانظر ما فعله فى عسى وظن اللتين
خلطهما كل الخلط^(٢).

وكثيرا ما كان لا يذكر فى الضد إلا معنى واحدا. قال مثلا^(٣): القموز:
النتى لا تدرّ حتى يغمز ضرعها" وقال^(٤): "يقال ناقةً ظنور: تعطف على ولد
غيرها". وغير ذلك من صيغة فعول.

وكثيرا ما كان قطرب يلتفت إلى المشتقات فى الضد الذى يعالجه، فيشير
إليها. وقد مرت بنا أمثلة لذلك، وهذه أمثلة أخرى: قال^(٥): "يقال أيضا:
أحمد الثوبُ يهمد همودا بلى. وأهمد: أسرع. وأهمد: سكن. والإهماد: السرعة
فى السير. والإهماد: الإقامة".

ولم يسر قطرب فى شواهدهِ على طريقة واحدة. فكان فى كثير من الأضداد
لا يستشهد البتة. قال مثلا^(٦): "ومنه: البعل، يا هذا: لما سقت السماء،

(١) ٧٤.

(٢) ٢، ١.

(٣) ١٩.

(٤) ٢٤.

(٥) ٧.

(٦) ٤٨.

وقالوا: البعل أيضا لما يشرب بعروقه . والبعل: الزوج." وقال^(١): " ومنه
البحتر: للقصير، والبحتر: للعظيم."

وكان فى أحيان أخرى يستشهد على أحد المعنيين المتضادين، ويهمل
الآخر. نرى مثال ذلك فى قوله^(٢): "ومنه أيضا: السليم. فالسليم: السليم،
والسليم: المدوغ.. قال النابغة:

يُسهد من نوم العشاء سليمها لحدى النساء فى يديه قعاقع
وقال الآخر:

ألقى من تذكر آل ليلسى كما يلقي السليم من العداد
ويفعل ذلك فى غيره من الأضداد، مثل الناهل، والأصور، وأرم، وجزيرة،
والفوارض، والتغشم، وهجد.

وفى مواضع أخرى استشهد على المعنيين معا. قال مثلا^(٣): "ومنه التلعة:
مسيل الماء من الجبل إلى الوادى، والتلعة: الارتفاع من الأرض."
وقال الراعى:

رأى ذوو الأحلام خيرا خلافة من الراتعين فى التلاع الدواحل
وقال زهير:

وانى متى أهبط من الأرض تلعة أجد أثرا قبلى جديدا وعافيا"
وانظر فرع، والرهوة، والمقتوى، ويهوى، وعسس، والمنة وغيرها. وكان
أحيانا يستشهد على المعنى الواحد بأكثر من شاهد.

(١) ٤٩ .

(٢) ٨ .

(٣) ١٢ .

وتنوعت الشواهد عنده: ما بين شعرية رأيناها فيما سبق، وقرآنية فى قوله^(١): "فمن الأضداد: عسى: تكون يقينا مرة، وشكا أخرى، قال الله جل ثناؤه: (عسى ربكم أن يرحمكم) وعسى فى القرآن واجبة". وقال^(٢): "يكون الظن شكا أو يقينا... وقال الله جل ثناؤه: (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) فهذا يقين، ولو كان ذلك شكا لم يجز فى المعنى وكان كفرا ولكنه يقين..". وانظر سمد، وعاصم، وراضية، وخفى، وأسر، ورجاء، وشرى، وقبل، وغيرها. وأمثال نراها فى قوله^(٣): "وفى مَثَلِ الْحَقِّ أَبْلَجُ وَالْبَاطِلِ لَجْلَجٌ. وَالْأَبْلَجُ: الْمَضَى، الْمُسْتَنْبِرُ. وَاللَّجْلَجُ: الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ.

وقال الراجز:

وانعدل النجم عن المجرّة وانبلج الصبح لأمّ برت

باتت على مخافة وظلت

وكان قِطْرِبَ فى أضداده ميالا إلى التنظيم، فوضع جميع المواد التى تنطوي تحت صيغة فعول للفاعل والمفعول به فى موضع واحد (١٣-٣٢) ونبه على هذه الصفة التى توحد بينها فى آخرها، إذ قال: "هذا كله الذى ذكرنا أضداد على فاعل ومفعول". ولم يفصل بينهما إلا بصيغة واحدة "فاطم" التى لا تدخل فى هذه الصيغة.

ونظم صيغة فاعل أيضا، وجمع موادها فى موضع واحد (٣٣-٤٤) ونبه عليها فى أولها فى قوله: "وقد جاءوا بفاعل فى معنى مفعول ضدا..". ولم يشذ عنه إلا الصيغة السابق ذكرها، التى أتت فى وسط أمثلة صيغة "فعل" اضطرابا.

أما أضداد صيغة فعيل التى تاتى للفاعل والمفعول فلم ينتبه إليها ولم يفعل فيها ما فعله مع أختيها، ففرقها فى (٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٨٧).

(١) ١ .

(٢) ٢ .

(٣) ٢١٦ .

وهناك ظواهر أخرى قليلة الأهمية فى أضداد قطرب، لأنها لم تبلغ مبلغ الظواهر السابقة فى الظهور والبروز. ومن هذه الظواهر رجوعه إلى من قبله من اللغويين، وأكثرهم ظهوراً يونس بن حبيب (١٥، ١٧، ٣٢) فأبو عمرو (٧، ١٦٨) فالكلبي (١٦٣).

ورجوعه إلى الأعراب مثل أبى طفيلة الحرمازى (١٦) وأبى عون الحرمازى (١١٩) وأبى خيرة العدوى (١٦٢). وأكثر فى تفسير الآيات من الرجوع إلى ابن عباس (١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، وغيرها كثير).

ومنها التفاته إلى الروايات الشعرية، كما نرى فى (٥، ١٤٦ مثلاً) وإلى اللغات كما فى (٤٥، ٥٩، ٦٢، ٩٢، ١٦٢، ١٩٧، ٢٠٠)، وإلى المعرّب (٧، ١٣) وبعض القواعد النحوية اللغوية (٣٢).

ومن الظواهر البارزة فى أضداد قطرب، أنها لم تعرّف الأضداد تعريفاً دقيقاً، ووسعت مدلولها جداً، فأدخلت كثيراً من الألفاظ التى نقدها القدماء أنفسهم، وخاصة ابن الأنبارى وذكرنا من ذلك أمثلة كثيرة. بل بلغ من حبه لإيراد الألفاظ أن أدخل بعض الألفاظ العامية، على علم منه بها. قال ابن الأنبارى (٢٣٥): "قال قطرب: الحرفة من الأضداد، يقال: قد أحرف الرجل إحرافاً: إذا نما ماله وكثر، والاسم الحرفة من هذا المعنى. قال: والحرفة عند الناس: الفقر وقلة الكسب. وليست من كلام العرب، وإنما تقولها العامة". وكان السبب فى هذا رميه إلى استقصاء الأضداد كلها، والإكثار منها، حتى أوقعه ذلك فى التزيد.

ومما يؤخذ عليه أيضاً - إلى جانب هذا - خلطه بعض الأضداد ببعض، كما فعل فى عسى وطن (١، ٢) فأورد ثانيتهما فى وسط كلام عن الأولى.

ويلام على عدم انتهاجه خطة موحدة فى معالجة الأضداد، فقد كان من الواجب عليه افتتاح الضد بذكر معنييه المتضادين، ثم تناول ما يعنّ له. فكان هذا يوضح له الألفاظ التى لا تشتمل على معنيين متضادين فيطرحها من كتابه، ويعرفنا الضدين منذ النظرة الأولى. كما قد نلومته على استطراده إلى المعانى

السكيت: كتبت عن قطرب قمطرا ثم تبينت أنه يكذب فى اللغة، فلم أذكر عنه شيئا".

وهذه النسخة التى حققها كوفلر من رواية المكنى "أبا محمد" المذكور كثيرا فى تضاعيف الكلام عن الأضداد. ولم يشتهر بهذه الكنية فى عصر تلاميذ قطرب غير اثنين، هما: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى المتوفى عام ٢٣٥هـ وأبو محمد عبد الله بن محمد التوزى المتوفى عام ٢٣٨هـ. أما الموصلى فقد أخذ " عن الأصمى وأبى عبيدة وغيرهما (اللزعة ٢٢٧) ولكن لم يصرح أحد بمقابلته لقطرب، وروايته أضداده. وأما التوزى فقد " أخذ عن أبى عبيدة والأصمى والجرمى" (اللزعة ٢٣٢) ولم يصرح أحد بمقابلته قطريا. ولكن له كتاب فى الأضداد اقتطف منه المبرد ضددين، لم أجد أحدهما فى نسخة قطرب، والثانية مختلفة عن مثيلتها فيه. واذن فهذا الكتاب ليس للتوزى. ومع ذلك، لا يمنع هذا أن يكون رواه التوزى.

وكان أبو محمد يروى تعليقاته عن الأصمى (٢-٤-١١٨) وأبى عبيدة (٢):
- ١١٨ - ١٣١) وأبى عمرو الشيبانى (١٧٣) ولم يرو كثيرا منها عن أحد، كما سيبين فيما يلى.

وكان قدر كبير من تعليقات أبى محمد موجها إلى شرح الشواهد. وابتدأ هذا الشرح منذ المقدمة: فقد استشهد فيها قطرب بالآية: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) فقال " أبو محمد: الأمة: الرجل وحده يُؤتم به". وهاك مثلا آخر قيل^(١): " قال ابن مقبل:

ظنى بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال

قوله: ظن بهم: أى يقينى بهم، فذلك ضد أيضا: يكون الظن شكا أو يقينا. قال أبو محمد: وقال الأصمى: وعسى فى بيت ابن مقبل ليست بواجبة، وقال أبو عبيدة: هى واجبة".

يليهما فى الكثرة تعليقاته التى تنكر الضد، مثل ما قيل فى (١٢٥):
"الشجاع: القوى، والشجاع: الضعيف. قال أبو محمد: ما سمعنا فى الضعف
شيئا". ونرى أمثال هذا النقد فى (١٦١ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٩٢ - ١٦٧).

تم تعليقات فى تصحيح بعض المعانى التى ذكرها قطرب، كما فى قوله
(١٣٦): "سارب بالنهار: متوار، سمعنا ذلك. وقالوا: انسرب الوحش فى
الجر: دخل. وقال أبو محمد: سارب: منتشر".

ثم تعليقات توضح الضد ومعناه، مثل قوله (١٣٩): "قالوا: الصريم: الليل،
وآخره... قال أبو محمد: كل ما انجلى من شىء فهو صريم، كالليل ينصرم من
النهار، والنهار ينصرم من الليل. ومن ذلك يقال: صريم الزمان أى منقطع من
معظمه. ومنه يقال: الصرمة من البيوت: أى القطعة، ومنه يقال: صرمة من
الإبل، ومنه يقال: صرم ما بينى وبينه: أى قطعه. ومنه يقال سيف صارم،
ومنه صرم الناس النخل. وقوله (١٥٧): "قالوا الماتم: الجماعة من النساء
فى الحزن، والماتم فى الفرح.. وقال أبو محمد: كل جماعة من رجال ونساء فهو
ماتم". ومن الواضح أن نتيجة توضيحه توجب رفض الضد، ولكنه لم يرفضه
صراحة.

ويمثلها فى العدد تعليقاته التى تبين مشتقات الضد، وبعض الألفاظ الواردة
فى تفسيره كقوله (٤٩): " ومنه البحر للقصير، والبحر للعظيم. قال أبو
محمد: رجل بحتر، وامرأة بحترة، ويهتر ويهتر للقصير".

ومثلها تعليقاته التى يأتى فيها بالشواهد مثل قوله (٢): "قال أبو محمد:
أنشدنا أبو عبيدة:

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج سراتهم فى الفارسى المعرد

أى تيقنوا".

وذكر فى بعض تعليقاته رواية لشاهد. مثل (١١٥): "قال عمرو بن كلثوم:

نصبنا رهوة من ذات عرف محافظة وكنا المقدمينا

وأشدنا أبو محمد:

نصبنا مثل رهوة من ذات حد محافظة وكنا المقدمينا

أى كتيبة ذات حد...".

وَضَعَفَ فِي تَعْلِيْقِهِ الشَّاهِدَ. روى قطرب (٢) بيت أبي دواد:

رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون

فقال أبو محمد: قرأت على الأصمعي بيت أبي دواد، فقال: هو لـخلف الأحمر".

ووثق معنى ضد بأن العلماء روه أيضاً، قيل (١٥٦): قالوا: أعبل الشجر: إذا سقط ورقه، وأعبل أيضاً: أخرج ثمرته.. وقال أبو محمد: أعبل إذا سقط ورقه قول الأصمعي والعلماء. والتفت مرة إلى ما يحدث في الضد من إبدال، كما رأينا في بحتر... ..

كتاب أبي عبيدة (١١٠-٢٠٩)

نستخلص الظواهر التي سادت كتاب أبي عبيدة من المقتطفات الباقية منه. وتدلنا هذه المقتطفات على أنه احتوى على عدة أنواع من الأضداد، مثل المجازية والتقاولية، وأضداد اللغات، وفعل وأفعل وغيرها. وتبين لنا أيضاً أنه اختلف بعض الشيء عن قطرب في الشواهد فهي عنده أكثر مما عند قطرب. ولذلك كثيراً ما نراه يستشهد بأكثر من شاهد على المعنى الواحد. مثل قوله^(١): "أمر جليل: أى جليل، وأمر جليل: أى هين يسير صغير، قال جميل في الجليل:

رسم دار وقفت فى طله كدت أقضى الغداة من جلله

أى من عظمه فى عيني أو قلبى. وقال بعضهم، من أجله. وقال آخر:

فلئن عفوت لأعفون جلا ولئن سطوت لأوهنن عظمى

(١) أضداد أبي حاتم ١١٢.

وقال فى الهين الحارث بن خالد المخزومى:

قلت للرننة لما أقبلت كل شىء ما خلا عمرا جليل

أى هين. وقال لبيد:

وأرى أربسد قد فارقتنى ومن الأرزاء رزء ذو جليل

وخالف أبو عبيدة قطربا أيضا. فعلق على أكثر شواهدة بكلمة توضح موضع الشاهد، أو تربطه بالمادة التى أتى به من أجلها، ولم يفعل ذلك قطرب. قيل فى أضداد الأصمى^(١) "وقال أبو عبيدة: يقال: عسعس الليل: إذا أقبل. وعسعس: أدبر وأنشد:

مدرعات الليل لما عسعسا

أى أقبل.

ثم مائل قطربا فيما عدا ذلك من عدم استشهاد أحيانا، واستشهاد على معنى واحد أحيانا أخرى، واستشهاد على المعنيين كليهما مرة ثالثة، وشرح للشواهد مرات معدودة، واستشهاد بالقرآن والشعر والأقوال والأمثال. وهاك أمثلة من كل ذلك: "قال أبو عبيدة^(٢): الكأس: الإناء الذى يشرب فيه، والكأس: ما فيه من الشراب". وقال: "يقال: قمأت المشية قما: إذا سمنت. ويقال: صغر فلان وقمؤ قماء، قال ابن أحرر فى الأول:

وجرد طار باطلها نسلا وأحدث قمؤها شعرا قصارا"

وقال^(٣): "شراة المال: بمنزلة شرار المال، أى رذال المال، والجميع شرى،

كقوله:

مُغادراتُ بالشرى المحسِّل

(١) ٧ .

(٢) الأصمى ٦٧. ابن السكيت ٣٤١. ابن الأنبارى ٩٨.

(٣) الأصمى ١٩. ابن السكيت ٢٩١. أبو الطيب ٤١٤.

أى المنفى المتروك.

والشراة فى لغة بعضهم: خيار مسان الإبل وكرائمها، كقوله:

من الشراة رُوقة الأموال^١

وقال: "المئة: القوة، والمئة: الضعف. ومنه حبل مَنين: أى ضعيف. وقال ذو الرمة:

ترى الناشء الغريد يُضحى كأنه على الرحل مما مَّئهُ السير عاصدُ
أى مما أضعفه. والعاصد: الذى يلوى عنقه...". "وقال: (فظلتم تفكهمون)
أى تندمون. وقالوا: القوم يفتكهمون: من الفكاهة، أى الضحك
والمزاحة. ويفتكهمون من الفكاهة" وقال: "الزُبية: حفرة تحفر للأسد، والزبية،
جمعها زُبى: أماكن مرتفعة. ويقال فى المثل: علا الماء الزبى، أى بلغ الأمر
أقصاه. قال العجاج:

• وقد علا الماء الزبى فلا غيرَه^(١)

وخالف أبو عبيدة قطربا فى عنايته بايراد المعانى الأخرى للأضداد، التى لا
تندرج تحت المعنيين الضدين. قيل فى أضداد الأصمعى^(٢): "المولى: المنعم،
والمولى: المنعم عليه. قال أبو عبيدة: وللمولى سبعة مواضع: المولى ذو النعمة من
فوق. والمولى: المنعم عليه من أسفل. وفى كتاب الله تبارك وتعالى: (فإن لم
تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم). والمولى فى الدين: من الموالاة، وهو
المولى، ومنه قوله الله جل ثناؤه: (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا، وأن الكافرين
لا مولى لهم).. والمولى: ابن العم، وفى كتاب الله تبارك وتعالى: (يوم لا يغنى
مولى عن مولى شيئا) أى ابن العم عن ابن العم.. والمولى: الجار، قال مريع بن
وَعَوْعة الكلابى، وجاور بنى كليب - كليب ابن يربوع - فأحمد جوارهم:

(١) الأصمعى ٨٦. ابن السكيت ٣٥٨. أبو الطيب ٣٣٠.

(٢) ٣٣. ابن السكيت ٣٠٥. وأبو الطيب ٦٦٠.

جزى الله ريسى والجزاء بكفه كليب بن يربوع وزادهم حمدا

والمولى: الحليف..."

وعنى بالمشتقات المتصلة بالأضداد أكثر من عناية قطرب بها، كما رأينا، ونرى فى قرء، قيل فى أضداد الأصمى^(١): "قال أبو عبيدة: يقال أقرأت النجوم بالألف معناه غابت، ومنه قرء المرأة فى قول من زعم أنه طهرها لأنها خرجت من الحيض إلى الظهر كما خرجت النجوم من الطلوع إلى المغرب. ويقال: هذه ناقة ما قرأت سلى قط، بغير ألف: أى ما حملت ملقوحا ولا غيبت فى بطنها ولدا".

كذلك عنى أكثر منه باللغات فيما يورده من ألفاظ قال^(٢): "إمدان: مثل السبخة يقال: ماؤه إمدان، وبعضهم يقول: مدان" وقال^(٣): يقال: سبد شعره وسبت لغة، فى الحلق والتطويل."

وفى آخر الأمر أعود إلى الإشارة إلى أن هذه الظواهر افتراضية، لأنها مبنية على مقتطفات الكتب من أبى عبيدة. وربما غيرت هذه الكتب فى عبارته وفى شواهد، وفى غير ذلك من الأمور، وربما زادت فى عبارته، وربما نقصت منها. وقد حدث ذلك. كما نرى فى قول أبى حاتم^(٤): "قال أبو عبيدة: مهرة شواء: قبيحة وجميلة، قال أبو حاتم: لا أظنهم قالوا للجميلة شواء إلا مخافة أن تصيبها عين، كما قالوا للغراب: أعور، لحدة بصره". على حين قيل فى أضداد الأصمى وابن السكيت^(٥): "قال أبو عبيدة: يقال: فرس شواء: أى حسنة. ولا يقال للذكر من هذا شواء، ويقال: لا تشوه على: أى لا تقل ما أفصحك (أو

(١) ١.

(٢) الأصمى ١٣.

(٣) أبو حاتم ١٢١.

(٤) ٢٢٥.

(٥) ٣٩ ، ٣١١.

ما أحسنك) فتصيبني بالعين. قال: وما سمعتها إلا في هذين الحرفين، وأما القبح فيقال: قد شوه الله خلقه، ورجل أشوه وامرأة شوهاء، قال الحطيئة:

أرى ثم وجهاً شوه الله خلقه فُتُبح من وجه وقبح حامله

وقال أبو دواد يذكر فرسا:

فهى شوهاء كالجوالق فوها . مستجاف يضل فيه الشكيم

ويتضح من هذا أن أبا حاتم حذف الكثير من عبارة أبي عبيدة.

وكان كثير من أقوال أبي عبيدة موضع نقد من الأصمعي وأبي حاتم، وخاصة ما يتعلق بتفسير ألفاظ القرآن، فقد نقده الأخير نقداً مراراً. وهاك أمثلة ذلك: قال أبو حاتم^(١) "قال أبو عبيدة: ماء بثر: كثير، وماء بثر: قليل. وأنشد في هذا - زعم - للهدلي:

فافتنهن من السواء وماؤه بثر وعارضه طريق مهيب

وقال الأصمعي: إنما بثر اسم ماء بعينه، وليس ما قال أبو عبيدة بشيء". وقال أبو حاتم أيضاً^(٢): "قال أبو عبيدة: "والليل إذا عسعس": أقبل، ويقال: أدبر. وأنشد لعلمة بن قرط التيمي فجعله إقبالا:

مُدْرعات الليل لما عسعسا وأدْرعت منه بهيما جندسا

البهيم: الأسود: الذي لا يخالطه بياض. والحنديس: الشديد السواد. قال: زعموا أن ابن عباس رحمه الله قال: عسعس: أدبر، والله أعلم. قال أبو عبيدة: وقال الزهري في الإخبار:

وما قديم عهده ما يرى به سوى الطير قد باكرن ورد المغلس

وردت بأفراس عتاق وفتية فوارط في أعجاز ليل معسعس

(١) ٢٢٩.

(٢) ١٣١.

قال أبو حاتم: قد تقلد أبو عبيدة أمرا عظيما. ولا أظن ههنا معنى أكثر من الاسوداد عسعس: أظلم واسود فى جميع ما ذكر، وكل شيء من ذا الباب فى القرآن فتنفسيره يُتقى، وما لم يكن فى القرآن فهو أيسر خطبا". ولكن أبا الطيب لم يقبل نقد أبى حاتم ورد عليه^(١).

كتاب الأصمعى

(١٢٢-٢١٦)

يحتوى كتاب "أضداد الأصمعى"، على ١٠٥ كلمة من الأضداد. ولكنها ليست جميعا عن الأصمعى. لأن الكتاب ليس خالصا له، بل هو جامع لشتات من الأضداد. ولا شك أن المقتطفات السابقة منه تدل على ذلك دلالة واضحة. فهو لا ينسب للأصمعى صراحة غير خمسة أضداد (٢ - ١٠ - ١٥ - ٣٥ - ٦٣)، على حين ينسب لأبى عبيدة أحد عشر ضدا: (٣ - ٨ - ١٩ - ٣٨ - ٣٨ - ٥٣ - ٦٠ - ٦٧ - ٧١ - ٧٢ - ٨٦ - ٩٥) نستطيع أن نضيف إليها ثلاثة أخرى، معطوفة على أضداد له، فيرجح أنها له أيضا (٩ - ٢٠ - ٥٤). وينسب لأبى عمرو الشيبانى (فى الغالب) خمسة أضداد (١٢ - ١٤ - ١٦ - ٣٧ - ٦٤) نضيف إليها اثنين آخرين للظاهرة نفسها التى رأيناها فى أضداد أبى عبيدة (١٣ - ١٧). وينسب لأبى زيد الأنصارى ثلاثة (٤٣ - ٤٥ - ٤٩)، وواحدة لكل من ابن الأعرابى (١٨) والأموى (٦٢)، أما بقية الأضداد فبعضها من مؤلفين مختلفين مثل قرء وجون (- ٤٤)، خلطت فيهما أقوال الأصمعى بأبى عبيدة (وغيرهما أيضا)، وباع (٣٦) خلطت فيها أقوال أبى زيد بأبى عبيدة، وأكثرها لم يصرح بقائله. ومن الممكن نسبة بعض هذا المجهول إلى الأصمعى، مثل الشيخ ٤٨ التى نسبها إليه أبو عبيد فى الغريب المصنف، وبعضها الآخر إلى أبى عبيدة، مثل أسر ويثر (٢٧ - ٤١) اللتين نسبهما إليه أبو حاتم (١٦٨ - ٢٢٩)، وغيرهما لأبى زيد، مثل لىق (٥٠). نسبها إليه أبو حاتم أيضا (١٣٧)، وغير ذلك لأبى

عمرو، مثل خل (٥٦) نسبها إليه ابن السكيت (٣٣٠)، ومن الممكن نسبة كثير من هذه الأضداد المهملة إلى ابن الأعرابي بفضل مضاهاته بما يرويه ابن منظور في لسان العرب لهذا العالم من الأضداد، مثل أرقام ٤ - ٥ - ٢٢ وغيرها.

وقد وردت أسماء بعض هؤلاء العلماء في تضاعيف الكلام عن الأضداد أحيانا، فربما كان هذا إيذانا بأنها لم يرد ذكرهم فيها.

وخلاصة القول إن الكتاب ليس خالصا للأصمعي، بل يشاركه فيه كثير غيره. حتى لو أضفنا إليه جميع الأضداد المهملة التي لم نستطع معرفة قائلها، يضاف إلى ذلك أنه لا يحتوي على جميع أضداد الأصمعي، فقد روى أبو حاتم ضدين له، لم يردا فيه، هما نعف وحميم (٢٧١ - ٢٦٧) إلا أنهما يشك في صحة نسبتها إليه.

كل ذلك يجعلنا نميل إلى الاطمئنان بأن هذا الكتاب الذي لدينا ملفق من أضداد مختلفة وليس للأصمعي وحده، أعني أنه يجمع أضداد عدد من اللغويين: أهمهم أبو عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي. وقد حاولت أن أعرف من الذى فعل ذلك بالكتاب، فوجدت بعض العبارات التي قد تثير الطريق أمامنا. وجدت في "ناء" عبارة: "وقال الأثرم: أخبرنى أبو عبيدة قال: يقال: نؤت بالحمل: إذا نهضت مثقلا...". واذن فالراوى عن أبى عبيدة هو الأثرم. أما كلمة "الأثرم" فمحرفة عن "الأثرم" وهو على بن المغيرة الأثرم المتوفى عام ٢٣٢ هـ، وكان تلميذا لأبى عبيدة وللأصمعي أيضا. فهل الأثرم هو الذى جمع أضداد الأصمعي وأبى عبيدة معا؟ ليس الأمر ببعيد. ولكن هل هو أيضا الذى وضع معها أضداد ابن الأعرابي وأبى عمرو الشيبانى؟ ليس من البعيد أن يروى عن الشيبانى المتوفى ٢٠٦ تقريبا، ولكن هل يروى عن ابن الأعرابي المتوفى بين عامى ٢٣٠، ٢٣٣. هما متعاصران وفى سن واحدة، فلا مانع من رواية أحدهما من الآخر، ولكن ذلك نادر فى اللغة خاصة، ولم ينص عليه أحد فى ترجمة الأثرم. وقد يكون أحد تلاميذ الأثرم هو الذى أتى بما رواه هذا من أضداد

الأصمعي وأبى عبيدة. وأضاف إليه أزداد ابن الأعرابي وأبى عمرو الشيباني وأبى زيد، وهو الذى يقول "قال الأثرم" كما فى العبارة المذكورة، فمن هو هذا التلميذ؟ لا يبعد أن يكون: يعقوب بن السكيت الذى "أخذ عن البصريين والكوفيين كالفراء وأبى عمرو الشيباني والأثرم وابن الأعرابي"^(١)، أولئك العلماء المذكورين فى الأزداد. فقد روى ابن السكيت عن الأثرم فى الأزداد المنسوبة إليه صراحة قال^(٢): "أخبرنى الأثرم هذا الحرف عن أبى عبيدة". وإذن فهذه النسخة من الأزداد التى وصلت إلينا هى أزداد ابن السكيت، فما الشأن فى الأزداد الأخرى المنسوبة إليه صراحة؟ إنها - بكل يقين - رواية أخرى من أزداد ابن السكيت، لاتفاقهما الذى يكاد يكون تاما فى العبارة عن الأزداد، حتى اضطر الناشر إلى أن يقول عن أزداد ابن السكيت: "يتضح من مطالعة كتاب الأزداد لابن السكيت أنه تتبع كتاب الأزداد للأصمعي إلا فيما ندر، فيورد العبارات ذاتها، وبالترتيب ذاته، ويرفع إلى الأصمعي ما يورده عنه قائلا: "قال أبو سعيد". أو "قال الأصمعي" أو "الأصمعي" مكتفيا بذكر اسمه فى بدء ما ينقله عنه. ومن ثم يمكننا اعتبار كتاب الأزداد لابن السكيت كرواية ثانية للأصمعي".

أما سياق العبارة فلا يختلف إلا قليلا جدا فى النادر. ويفسر لنا هذا وجود أزداد للأصمعي فى كتب أخرى، غير موجودة فى هذه النسخة، لأن ابن السكيت - فيما يبدو - كان يختار من أزداد الأصمعي، ولم يرم إلى ذكرها جملة..

وتبين لنا دراسة الأزداد المنسوبة إلى الأصمعي فى هذه النسخة وعند أبى حاتم وفى النسخة الأخرى من أزداد ابن السكيت، أن هذا العالم لم يختلف كثيرا عن قطرب وأبى عبيدة فى خطته فى التأليف فى الأزداد. فقد اتفقوا فى عدم الاستشهاد مرة، والاستشهاد على معنى واحد أخرى، والاستشهاد على

(١) البغية ٤١٨.

(٢) ٣٤٥.

المعنيين مرة ثالثة، والاستشهاد بأكثر من شاهد واحد، وشرح الشواهد. وهاك الأمثلة على ذلك: قال أبو حاتم^(١): "قال لى الأصمى: النُغف. ما ارتفع عن بطن المسيل. والنغف: ما انخفض من الجبل". وقال أبو حاتم^(٢): "الريح الطيبة يقال لها: الأفر: ومسك أذفر، وروضة ذفراء. ويقال للريح المنتنة: الذفر أيضا. ويقال: فلان أظفر أذفر، أى وافى الأظفار منتن الريح كريح التيس، قال امرؤ القيس فى الطيب:

ورريح سَنَا فنى جُفَّة حَمِيرية تُشاب بمفروكٍ من المسك أذفرا

وفى نسخة الأضداد المنسوبة إلى الأصمى شاهد واحد على المعنى الآخر للذفر، دون أن يورد الشاهد الذى رواه أبو حاتم، ودون أن تنسب المادة إلى أحد، ومن الطبيعى أن نميل إلى ما أورده أبو حاتم، إذ نسبه صراحة إلى الأصمى.

وقال الأصمى^(٣): قد صرى الماء تصرية: إذا جمعته، وشاة مصرأة: وهى التى يترك لبنها فى ضرعها يوما أو يومين لا تحلب. وأنشد:

رُبُّ غلامٍ قد صرَى فى فِقْرته ماء الشبابِ عنفوانَ سَنْبته

عنفوان: يعنى أول شبابه. والسنبه والسنب: الدهر. ويقال: صرى يصرى: إذا قطع. يقال: صرى ما بينهما: أى قطع. وجاء فى الحديث: "ما يصرينى عنك" أى ما يقطع مسألتك عنى. وصرى أيضا: نجى. قال الشاعر:

صرى الفحل منى أن ضئيلُ سنأمة ولم يصر ذات التى منى بُروعها

يقول: نجى الفحل منى هزاله. ويقال: صرى الله عنك شر ذلك الأمر: أى دفعه، وأنشد للراعى وذكر صقرا:

(١) ص ١٦٣.

(٢) ٢٧١.

(٣) ١٣٠.

وظلُّ بالأحْم ما يَصْرِي أُرَانِيهَا من حدِّ أظْفاره الحُجرانُ والقَلحُ

أى لا يدفعه ولا يصرفه. والحجران: جمع حاجر، وهو المكان ترتفع نواحيه ويظمنن وسطه، له حروف تمنع الماء أن ينبثق. ولكنه اختلف عن قطرب وأبى عبيدة فى إيراد شواهد من الحديث، ولم نر ذلك فيما بقى من أبى عبيدة. وكان هذا أورد شاهدا من القرآن الكريم. ولم نر ذلك فيما روى عن الأصمى. وربما لو وصل إلينا أكثر مما وصل تغيرت هذه الفروق.

واتفق الأصمى وقطرب وأبو عبيدة فى الالتفات إلى اللهجات والمعانى الأخرى للأضداد، قال الأصمى: "أقرأت الريح: إذا جاءت لوقتها. ويقال: ذهبت عنك القرءة - خفيفة. يريد وقت المرض، وذلك إذا صرت إلى بلد غير البلد الذى أنت فيه، فمكثت فيه خمس عشرة ليلة، فقد ذهبت عنك قرءة البلد التى تحولت عنها، وأهل الحجاز يقولون: قرءة بغير همز، يعنى أنك إن مرضت بعدها فليس ذلك من وباء تلك البلدة، وقوله العقر، وأهل الحجاز يقولون: عقر الدار، وأهل نجد: عقر الدار، وأهل الحجاز يضمون العين، والعقر: أصل الدار". وظهر اهتمامه بالمعانى الأخرى فى كلمة (صرى) التى نقلتها آنفا.

ويبدو أن الأصمى عنى بالمشتقات المتصلة بالأضداد أكثر من عناية أبى عبيدة بها. ظهر هذا فى "ذفر" و"قرء"، و"صرى"، ويظهر أيضا فى قوله فى مادة "ناهل"^(١): "الأنثى ناهلة، والجميع نهال، ورجل منهل: أى معطش، وإبل نهال: أى عطاش، يتطيرون بها من العطش، فيقولون: هذه إبل ناهلة، والنمل: الشرب الأول، يقال للذى شرب أول شربة ولم يعد: نهل ينهل، وأنهل الرجل أهله".

ويبدو كذلك أنه أورد بعض الأخبار فى أضداده، كقصة الرجل العربى مع الملك الحميرى الذى قال له: ثب، فألقى بنفسه من الجبل. وهى معروفة فلا داعى لذكرها^(٢).

(١) ٤٥.

(٢) أضداد الأصمى ٦٣.

وشك أبو حاتم في ضدين للأصمعي، فأوردهما في المجموعة الريبة عنده، هما نعف والحميم. وقد ذكرنا ما قاله الأصمعي في "النعف" والحق أنه "الأرض فيها غلظ وانحدار" فالكلمة لا تعنى الانحدار وحده، ولا الارتفاع وحده، فلا تضاد فيها. وقال أبو حاتم في الثانية^(١): "زعموا أن الأصمعي قال: الحميم: الماء الحار والماء البارد. ولا أعرفه". وأبو حاتم نفسه يضعف هذه النسبة، وقد وجدت الكلمة منسوبة إلى ابن الأعرابي في لسان العرب (حم).

كتاب التوزى (٢٢٢)

وروى أبو الطيب اللغوى عن التوزى عدة أصدقاء، كشفت عن ظواهر متعددة غلبت عليها. فقد أبانت أن التوزى نقل كثيرا من أصداده عن أبي عبيدة، مثل قوله^(٢): "قال التوزى عن الأصمعي: إذا صغر المسيل عن التلعة فهى الشعبة، فإذا عظم حتى يكون ثلثى الوادى أو نصفه فهو ميثاء، فإذا زاد على ذلك فهو ميثاء جلواخ. قال: وقال أبو عبيدة: المرتجل الذى يطبخ رجلا من جراد، أى قطعة منه، والارتجال الطبخ، يقال: ارتجلت شيئا أى طبخته". ويدعم ذلك ما جاء فى البغية^(٣). وروى مرة عن كل من الأصمعي، وكيسان بن درهم وأبى زيد وأبى عبيد^(٤). وربما كان الاسم الأخير محرفا عن أبى عبيدة.

وأدى اعتماده على أبى عبيدة إلى انتقال الظواهر الموجودة فى كتابه إلى كتاب التوزى. فنجد فيه الأصدقاء التى يظهر التضاد فى معنيها جليا، مثل^(٥): "قال التوزى: يقال: ثوب يدي إذا كان ضيق الكم، وثوب يدي إذا كان واسع الكم". والأصدقاء المأخوذة من أسماء أجناس، مثل^(٦): "قال التوزى: أسيد

(١) ٢٦٧.

(٢) ١٠٤. وانظر ١٨٦، ٢٤٠، ٢٩٦، ٤٢٦، ٤٩٠، ٥٢٣.

(٣) ٢٩٠.

(٤) ٥٥، ١٠٣، ٦٤٦. كامل المبرد ٥٦٩.

(٥) ٦٨٦.

(٦) ١٦.

الرجل إذا فزع من الأسد، وأسَد أيضا إذا صار أسدا، من الشجاعة". وأضداد فعول، مثل^(١): "قال التوزي: الأكلة الفاعل - يريد قولك: رجل أكلة، والهاء للمبالغة - والأكلة الشاة يربيهها الراعي، والرجل يربيهها لنفسه ليأكلها". وأضداد فعيل، مثل^(٢): "قال التوزي: التبيع التابع، والتبوع المتبوع" وفعل وأفعل، مثل^(٣): "قال التوزي: ومن الأضداد ثُبت الرجل، إذا أعطيته من الثواب، وأثبته إذا طلبت نواله. قال أبو حاتم: ولا أعرف الثانی إلا توهما". والأضداد الناتجة عن تصريف مختلف، مثل الذى رواه المبرد^(٤) فى شرحه لبيت حسان بن ثابت:

لقد رميت بها شنعاء فاضحة يظل منها صحيح القوم كالمودى

قال: فالمودى فى هذا الموضع الهالك. وللمودى موضع آخر يكون فيه القوى الجاد. حدثنى بذلك التوزي فى كتاب الأضداد، وأنشدنى:

مودون يحمون السبيل السابلا

المودى بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمز: الهالك".

وأورد غير ذلك من الأضداد، بل أورد ألفاظا من المشترك لا تضاد فيها، مثل^(٥): "قال أبو حاتم: التوزي: الزاهق: الميت. يقال: زهقت نفسه تزهب زهقا، وفى التنزيل (وتزهق أنفسهم) والزاهق: السمين...".

وتعددت الشواهد عنده. فكان منها القرآن، مثل^(٦): "قال التوزي: خفيت الشىء وأخفيته لغتان فى الإظهار والكتمان جميعا. قال: ومن ذلك قول الله جل

(١) ٢٤٠.

(٢) ١٠١.

(٣) ١٢٤.

(٤) الكامل ١٤٤.

(٥) ٣٣٣.

(٦) ٢٣٧. وانظر ٣٦٠، ٥٦٠، ٥٦٩، ٦٨٠.

وعز: (أكاد أخفيها) يقرأ بالضم والفتح". وكان منها الأمثال، مثل ما ذكره أبو الطيب في حَزْوَرٌ^(١): "وقال آخر في مثل ذلك:

إن أحق الناس بالمنية حزور ليست له ذرية

قال: أرادها هنا رجلا ضعيفا لا نسل له. وقال التوزي: هذا مثل تمثّل به الأحنف بن قيس، وأراد بالحزور الغلام الحديث السن". وكان منها الأقوال الفصيحة كالإتباع في "شحيح نحیح"^(٢).

وكان بطبيعة الحال الشعر، الذي اختلفت معالجه له اختلافا كبيرا. فاكثف بإيراد الشاهد حيناً، وعلق عليه حيناً آخر. مثل^(٣): "أنشد قطرب وأبو حاتم والتوزي في البسل بمعنى الحلال بيت عبد الله بن همام السلولي:

أيثبت ما زدتم وتلغى زيادتي دمي - إن أسيغت هذه - لكم بسل
قال التوزي: هذا رجل كان له زيادة في ديوان، فقال: إن ألغيت زيادتي فدمي لكم خلل، أي لا أدعها لكم. ألا ترى أن قبل هذا البيت:

زيادتنا نعمان لا تحرمنا تق الله فينا والكتاب الذي تتلو
وكثيرا ما نسب هذه الشواهد إلى من أنشده إياها مثل^(٤): "قال التوزي: وأنشدني أبو مالك وأبو عبيدة:

ولما رأى الحجاج جرد سيفه أسر الحروري الذي كان أضمر
أي أظهر. قال: وأنشد غيرهما: أسر الحروري الذي كان مظهرًا"

فذكر رواية أخرى في البيت.

(١) ١٨٨.

(٢) ٦٥٠.

(٣) ٣٤. وانظر ٢٥، ٥٣ — ٥٥، ٦٥، ٣٤٨، ٣٩٩، ٤٧٤، ٥٣٤.

(٤) ٣٥٣. وانظر ٣٥٦، ٣٦٥.

وأخطأ فى بعض الأبيات، فأوردها ولا شاهد فيها على ما يقوله، كما فعل فى حديثه عن (بيضة البلد)، إذ قيل فى أزداد أبى الطيب^(١): وأنشد التوزى فى المدح:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالح خالصه لعبد مناف

قال أبو حاتم: ليس هذا من هذا الباب. قال أبو الطيب: وهو كما قال:

”واعتماد فى حديثه عن الأزداد أن يذكر كثيرا من مشتقات الضد، مثل^(٢):
”من الأزداد قال التوزى: يقال حرس فلان الشيء يحرسه حرسا وحراسة
وحرسا ومحرسا، إذا حفظه وكلاه، والشيء محروس وحريس“.

كتاب ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٤)

من الطبيعى الآن، أننا حين ننتقل إلى الكلام عن نسخة الأزداد المنسوبة إلى ابن السكيت صراحة، نراها تجمع بين ما قلنا عن الأصمعى، وعن أبى عبيدة، بل ربما كان أغلب الظواهر التى نسبناها إلى هذين العالمين، هى فى حقيقة أمرها من عمل ابن السكيت. ولم يقدم هذا المؤلف بين يدي كتابه مقدمة يبين فيها أسباب اهتمامه بهذا النوع من التأليف كالحال فى نسخته الأخرى التى نسبت إلى الأصمعى. ويحتوى كتابه هذا على ٩٤ ضدا، كلها للعلماء الذين سبق ذكرهم، وعلى رأسهم: أبو عبيدة، فالأصمعى فابن الأعرابي فأبو عمرو الشيبانى. وليس هناك من دليل على أن المؤلف أتى بشيء من عنده، اللهم إلا إذا كان فيما أهمل نسبه ما هو من جمعه.

وما دام الأمر كذلك فنحن فى غنى عن الإطالة فى الكلام عنه اكتفاء بما قلناه آنفا، ولكننا نشير إلى بعض المعالم الكبرى فيه.

(١) ٥٥.

(٢) ٢٥٥. وانظر ٤٠٣، ٤٨٥، ٥٣٤، ٥٣٩، ٥٤٦ وغيرها.

اختط ابن السكيت لنفسه خطة واضحة. هي أن يورد المادة أولا، ثم يعقبها بمعنييها ، ثم يورد الأمثلة. قال^(١) : "جلل... والجلل: الهين، والجلل: العظيم. فقد جلت مصيبتهم أى عظمت: وأنشد:

كل شيء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويُلْهيه الأمل
وقال الآخر فى العظيم:

فلئن عفوت لأعفون جلا ولئن سطوت لأوهنن عظمى

وكان أحيانا أخرى لا يراعى هذه الخطة فيورد المادة، ثم أحد معنييها أو يستشهد له، ثم المعنى الآخر وشواهدة. قال^(٢) : "أقوى والمقوى: الذى لا زاد معه ولا مال له، وكذلك الدار التى قد أقوت من أهلها، قال الله تبارك وتعالى : (ومتاعا للمقوين). وفى موضع آخر المقوى: الكثير المال. يقال: أكثر من إتيان فلان فإنه دقو. والمقوى أيضا: الذى ظهره قوى".

وكان ينتفتت أحيانا إلى المشتقات المتصلة بالأضداد، والمعانى الأخرى لها التى لا تدخل فى الضدين. وتنوعت الشواهد عنده: بين القرآن، والحديث، والشعر، والأمثال. وسلك طرقا مختلفة فى الاستشهاد: كثرة وقلة، واستشهادا على معنى واحد أو اثنين أو عدم استشهاد البتة. وكل ذلك رأيناه فى كلامنا السابق، غير أن الأحاديث لم نر منها كثيرا، ولذلك أشير إلى بعض مواطن الاستشهاد بها: (٨٩ - ٣٠٠ - ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣١١). وكل هذه الأمور: من منهج وطاره، رأيناها فى أضداد قطرب، وإذن فابن السكيت سار على الدرب الذى مهده هذا المؤلف الأول، وربما شابهه فيه الأصمعى وأبو عبيدة. ولكن ابن السكيت لم يخضع لقطرب فى مواده، بل حذف منها قريبا من ثلثيها لشكه فيها.

(١) ٢٨١.

(٢) ٢٧٩.

كتاب السجستاني

(٢٤٨)

خالفت أزداد أبى حاتم السجستاني ما سبقها من كتب فى العنوان، إذ لم تقتصر على الأزداد وحدها، بل هى "كتاب المقلوب لفظه فى كلام العرب، والمزال عن جهته، والأزداد". والمراد بالجزء الأول من هذا العنوان ما يسمى "المقلوب" مثل تهيبنى الطريق، وبالجزء الثانى الأزداد نفسها مثل الجزء الثالث، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الأصيل. فالعنوان يصرح إذن أن الكتاب خاص بالأزداد، والعبارات المقلوبة. ولكن هذا التقسيم لم يثمر ما يماثله فى متن الكتاب.

وتشتمل أزداد أبى حاتم على ١٧٠. ضدا، أخذ منها ١١٦ من قطرب، واتفق ابن السكيت معه فى ٥٤ منها. ولم يشترك أبو حاتم مع ابن السكيت فى شىء من بقية الأزداد التى لم يأخذها من قطرب، وقدرها ٥٤ أيضا. فلم يقع بينهما اشتراك إلا فيما أخذاه من قطرب. ولكن أبا حاتم لم يأت بهذه الأزداد من عنده، بل أخذ خمسة منها من أبى زيد (١٦٦، ٢١١، ٢١٦، ٢٤٣، ٢٤٤٩)، و٣ من الأصمعى (٢١٤، ٢٦٧، ٢٧١)، واثنين من أبى عبيدة (١٠٦، ١١٨) وواحدا من التوزى (١٨٠) وآخر من أبى زيد والأصمعى معا (٢٧٥). واشترك مع ابن الأنبارى فى ٢٨ ضدا، لا ندرى مصدرها على وجه اليقين، وإن ورد فيها أسماء بعض اللغويين.

أما ما انفرد به أبو حاتم عن قطرب وابن السكيت فأزداد قلائل، يمكن أن نفرها إلى الأنواع التالية:

أ - ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الأجوف والمضاعف. وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (١٧٥).

ب - ما يتبع صيغة فَعول وفَعِيل (١٥٨، ١٦٠ - ١٦٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٢٠٤) وسبب انفراده تجديده في أمثلهما.

ج - أزداد كان يشك فيها (٢٤٦، ٢٧٢).

د - أخطاء (٢٠٩، ٢٣١).

وظننت في بادئ الأمر أنه حذف ما حذف من أزداد ابن السكيت، لأنه لم يرض عنها أو عن نوع الأزداد الذي تمثله. ولكن الدراسة بينت أنه ذكر من الأزداد ما هو من نوعها. فقد حذف بعض أزداد مجازية (٦٥-٧١، ٦٩) وأزداد اللغات (٥٧، ٥٩) وأزداد التطير (٩٦) وأزداد المتعلقة (١٣)، وأزداد فَعول وفَعِيل (٨٧، ٣٠) وغيرها. وكان من هذه الأزداد التي حذفها ما رواه أبو عبيدة (٦٠، ٦٧، ٧٠، ٧١، ١٠٠) وأبو عمرو الشيباني (١٢، ١٤، ٥٦) والأصمعي (١٠، ١٥) وقطرب (٩٨). وكان فيما زاده أزداد الصيغ المختلفة من أفعال وفَعول ومفَعَل وتَفَعَّل (٢٤٦، ١٦٢ - ١٦٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٢٣١) وأزداد مجازية (٢٧٣) وأزداد اللغات (٢٢٧) وأزداد المتعلقة (٢٣٦) وغيرها، أما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد ابن السكيت على أبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني، واكثار أبي حاتم الرواية عن قطرب وأبي زيد والأصمعي.

وجمع أبو حاتم في آخر كتابه ثلاثين ضدا، أفردا عن بقية الكتاب لشكه فيها. ووجه إليها نقدا عاما إذ قال ^(١): "وقد ذكر بعض أصحابنا حروفا لا علم لي بها: أقال أم لا". وكان من هذه الأزداد ما شاركه فيه ابن الأنباري (٢٥٧) وما شاركه فيه قطرب وابن الأنباري (٢٥٢)، وما شاركه فيه الأصمعي وابن السكيت وابن الأنباري والصغاني (١٨٧).

ولا تختلف الخطة التي سار عليها أبو حاتم في معالجة الأضداد، في معاملها الكبرى، وإن اختلفت في بعض التفاصيل، عما رأيناه في أضداد ابن السكيت. فهما متفقان في تقديم المادة، فمعنيها، فشواهدهما تارة، وتقديم المادة فأحد المعانى وشواهده، فالمعنى الآخر وشواهده. قال^(١): "بيضة البلد. يقال: فلان بيضة البلد: إذا ذم، أى قد انفرد، ويقال ذلك فى المدح، زعموا. فأما فى الذم فقال الراعى لعدى بن الرقاع العاملى:

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسا وابننا نزار فأنتم بيضة البلد
قال أبو حاتم: يجوز أن يكون قول الراعى هزأ، يهزأ بهم، يقول: أنتم سادة البلد، وهو يهزأ بهم. وقال حسان لمزينة، وقد قتلوا أباه فجعلهم جلابيب، أى سفلة:

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
وقال المتلمس:

لكنه حوض من أزدى بإخوته ريب المنون فأضحى بيضة البلد
وأما قول ابن الزبعرى:

كانت قریش بيضة فتفلقت فالبح خالصه لعبد مناف
فليس من هذا فى شىء. وقال^(٢): "زهق. الزاهق: الميت. يقال: زهقت نفسه، وقال تعالى: "وتزهق أنفسهم" و"قل جاء الحق وزهق الباطل" وزهق بين يدي القوم: مضى وتقدم. وقالوا: والزاهق: السمين، قال زهير:

القائد الخيل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم
وقلما كان يسلك الطريقة الثانية، إلا فى المقتطفات التى أخذها من غيره. وكان فى بعض الأحيان يترك الطريقتين، ويذكر المادة كما تأتى. قال^(٣):

(١) ١٧١.

(٢) ١٩٥.

(٣) ٢٤٠.

”ظهر: بطن: وقال الحسن رحمه الله: (بطائنها من استبرق): ظواهرها. وقالوا: ظهر السماء: وجهها، وبطن السماء كذلك، وقرأت القرآن عن ظهر قلب. وعن ظهر اللسان. قال الشاعر:

وان من القول التي لا شوى لها إذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا في قوله تعالى: ”فيظللن رواكبد على ظهره“ أى على وجه البحر. وقالوا: أمر ظاهر عنك: أى زائل، قال الهذلي أبو ذؤيب:

وعيرها الواشون أنى أحسبها وتلك شكاةً ظاهرٌ عنك عارها

أى زائل. ويقال: النعمة ظاهرة عليه: أى لازمة له“. فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام لها.

واعتمد أبو حاتم فى علاجه على الشواهد، ولكنه كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن السكيت، ولم يظهر لى أنه أخذها من غيره. ولا يختلف الاستشهاد عند أبى حاتم عنده عند من سبقه، طريقة وأنواعاً، غير أنه أكثر من الآيات القرآنية، وقلل من الأمثال والأقوال. وهذه بعض أمثلة الاستشهاد عنده. قال^(١): ”الآدم من الإبل ومن الظباء: الأبيض. ومن كل شىء بعد ذلك: غير الأبيض على ما يقول الناس. يقولون: رجل آدم [أسمر] وظبية آدماء: بيضاء. ويعير آدم: للأبيض، وناقاة آدماء“. وقال^(٢): ”قد قالوا: بصير، للبصير والأعمى، وللزنجى أبو البيضاء. وقال لى رجل من شق الأحساء: لى أم بصيرة، يريد عمياء“.

ولكن أبا حاتم خالف من قبله فى ناحية واحدة من الشواهد، هى إيراده أحياناً السند فى تفسير الآيات والأحاديث. قال^(٣): ”حدثنى أبو عامر العقدى

(١) ١٧٦.

(٢) ٢٢٥.

(٣) ١١١.

قال: حدثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار: أن ابن عباس قرأ: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)...".

وكان في العلاج يحاول ألا يستطرد كما كان يفعل ابن السكيت، وأن يلتزم بما اتصل بالأضداد وحده.

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات إلى المشتقات المتصلة بالأضداد، والعناية باللغات، كما نرى في قوله في "ند" ^(١): "النخل، يؤنثه أهل الحجاز، ويذكره سائر الناس. ويؤمل: من أمْلُته، مخففة، ويقال: هو مأمول. ومن قال أمْلته، فشد الميم، قال: هو مؤمّل. وقالوا للواحد: شَبُه وشَبِيه، وعَدْل وعَدِيل. وقد يقال للعدل من الأحمال: عديلة: أيضا".

وكان إلى جانب هذا يلتفت أحيانا إلى بعض القواعد والأحكام اللغوية والنحوية، ويذكرها. قال: "قال أبو حاتم: اجتمعت العرب على أن (نبد) الشيء مثله وعينله، ولا أعلمهم اختلفوا في ذلك... والجمع أنداد.. وكثير من العرب يجعلون الند أيضا للجمع من الرجال والنساء، وللأثنين من الرجال والنساء، كما يجعلون المثل والشبه والعَدْل والضد.. ويقال: ند، وتَديد، وتَديدة بالهاء، كما يقال في الحديث: "إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه": أي كريم قوم... قال تعالى: {كلا سيكفرون بعبادتهم، ويكونون عليهم ضدا} أي تكون الآلهة ضدا عليهم. وإنما جعل الضد كالمصادر التي تكون للواحد والجمع سواء. كقولك: القوم رَضِي، والقوم عَدْل. وهم جُنُب... وهذا مشهور في المصادر خاصة. ويقال: قوم كَرَم، في معنى: كرام. وقالوا: قوم شَرَط: وقَرَم: للثام، وقد يجمع فيقال: قَرَامِي وأشراف".

وكتاب الأضداد لأبي حاتم أكثر انتظاما من كتاب ابن السكيت، إذ ينظم أضداد فعول، وافتعل وانفعل من الأجوف، وافتعل من المضعف الثلاثي، ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز في أضداد ابن السكيت. يضاف إلى ذلك أنه أخرج أضداده، وصرح بشكها فيها. ولكن تسرب إليه الاختلال في مادة "ضنين

وظنين" التي لا ندري سبب وضعه إياها فى الأضداد، وفى مادة "قعد" التي كررها مرتين^(١).

يضاف إلى ذلك أن أبا حاتم فى أضداده امتاز على ابن السكيت امتيازاً كبيراً، دل على قدرة فائقة. وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التي عقب بها على كثير مما أورده من أضداد. وعندما نتتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية:

أقام أبو حاتم الشطر الأكبر من نقده، على عدم معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ، وهو يقيم من نفسه مثالا للغويين، فيعنى بقوله: "لا أعرفه" أن اللغويين لا يعرفونه. قال مرة^(٢) " زعم قوم أن بعض العرب يجعل النذ مثل الضد، ويقول هو يصادنى، فى ذلك المعنى، ولا أعرف أنا ذلك، فأما المعروف فى الضد فى كلام العرب فخلاف الشيء، كما يقال: الإيمان ضد الكفر، والعقل ضد الحمق..".

وكان فى أكثر الأحيان يأتى بهذا النقد فى الأضداد المتعلقة بالقرآن تحرجاً منه وورعاً. مثال ذلك قوله^(٣): "كان أبو عبيدة يقول: خاف من الخوف، ومن اليقين. وكان يقول: "فإن خفتم ألا تعدلوا" يريد أيقنتم. ولا علم لى بهذا لأنه قرآن، فإنما تحكيه عن رب العالمين، ولا تدري لعله ليس كما يظن".

والدعامة الثانية عنده. تغليط القائل، مثل قوله^(٤): "قال أبو عبيدة: الخنذيذ من الخيل: الفحل والخصى. وغلط، إنما الخنذيذ الفائق من الخيل، ومن كل شىء. ويقال: خطيب خنذيذ، وشاعر خنذيذ. وقال خفاف بن عبد شمس:

(١) ١٢١، ٢٦١.

(٢) ١٠٦.

(٣) ١١٧.

(٤) ١١٥.

وبراذين كابييات وأتينا وخناذيد خصية وفحولا

الخصية: الخصيان. فأراد منها خصيان ومنها فحول. وقال بشر بن أبي خازم في نعت فرس:

وخنذيد ترى الغرمول منه كطى الزق علقه التُّجار

وعثرت على نقد واحد من أبي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد، قال^(١): "قال أبو عبيدة: أسررت الشيء: أخفيته وأظهرته أيضا. وكان يقول في هذه الآية: (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب): أظهروها. ولا أثق بقوله في هذا، والله أعلم. وقد زعموا أن الفرزدق قال:

فلما رأى الحجاجَ جرد سيفه أسر الحرورى الذى كان أضمر

ولا أثق أيضا بقول الفرزدق فى القرآن. ولا أدري لعله قال: "الذى كان أظهر" أى كتم ما كان عليه. والفرزدق كثير التخليط فى شعره، وليس فى قول نظيره جرير والإخطل شيء من ذلك. فلا أثق به فى القرآن.

كذلك عند أبى حاتم نقد واحد قام على أن الضد من احتمالات النحويين قال^(٢): "قال قوم: سوى الشيء: غيره، وسواه: هو هو. وقال قوم: بل سوى تكون زيادة أحيانا، كقول أبى النجم: "كالشمس لم تعد سوى ذرورها" يريد لم تعد ذرورها، أى أن ذرت، أى طلعت. وأنشدنا أبو زيد:

أتانا فلم نعدل سواه بغيره رسول أتى من عند ذى العرش هاديا

يعنى النبى صلى الله عليه وسلم. والمعنى فلم نعدله بغيره. وقال الأخفش: أراد فلم نعدل سواه بغير سواه، فالهاء ترجع إلى سواه. وهذا من احتمال النحويين، وكلام العرب على غير ذلك.

(١) ١٦٨.

(٢) ١٨١.

كتاب ابن الأنبارى

(٢٧١ - ٨٢٣)

وصل إلينا أيضا "كتاب الأضداد" لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى. وقد قدم المؤلف - كأبى حاتم - بين يدى كتابه مقدمة، صدرها بالحمد والصلاة، ثم عرّف الأضداد، وذكر ما دفعه إلى التأليف فيها، وقسم الكلام العربى تمهيدا لوضع الأضداد فى موضعها اللائق بها، وأبان نشأتها الأولى فى اللغة. ونستبين عن الاطلاع عليها أن ابن الأنبارى أدخل فى مقدمته مقدمة قطرب كلها.

وكشف ابن الأنبارى عن النهج الذى اختطه فى كتابه، فقال^(١): "وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة، وصنفوا فى إحصائها كتبا. نظرت فيها، فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءا، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها. فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا، على حسب معرفتى ومبلغ علمى، ليستغنى كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه، إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يعدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد".

ووفى المؤلف بالخطوة الأولى من نهجه، فقد ذكر جميع ما فى أضداد ابن السكيت وأبى حاتم - ما عدا قريبا من ٣٠ أهملها لشكه فيها - وجميع ما فى أضداد قطرب غير ١٢ ضدا. وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها، واتفق معه أبو حاتم فى الباقيين ٧٧، ١٦٤. وزاد عليها أضدادا أخرى، فبلغ المجموع ٣٥٧. وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه، إلى جانب ما أورده من فوائد فى أثناء الحديث عن الأضداد نفسها.

أما "حسن البيان" فظهر أولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يجد عنها تقريبا. وأوجزها فى الابتداء بالتنبيه على أن اللفظ من الأضداد ثم تقديم معنييه المتضادين، ثم إتباعهما بالشواهد إن كان بين يديه شىء منها. وها أنذا أفتح

(١) ص ١٣.

الكتاب عفوا، لألتقط الضد الذى يكون فيها. قال^(٦) : " وتائم حرف من الأضداد. يقال: قد تائم الرجل: إذا أتى ما فيه المائم، وتائم إذا تجنب المائم، كما يقال: قد تحوب الرجل إذا تجنب الحوب. ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر. أخبرنا محمد بن أحمد بن النضر قال: حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة، عن هشام قال: قال الحسن ومحمد: ما علمنا أحدا منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تائما من ذلك، أى تجنبنا للمائم... " وكان فى بعض الأحيان يجمع بين كلام قطرب والأصمعى فى سياق واحد، كما فعل غيره أيضا (رهب).

وظهر " حسن بيانه وكثرة فوائده" فى حشو المواد. فقد عنى بإبانة أصل الأضداد وما اتصل بها من مشتقات فى أحيان كثيرة، مثل^(٧) : " وقال الفراء: حسبت أصله من حسبت الشيء أى وقع فى حسابى، ثم كسرت السين منه، ونقل إلى معنى الشك... وقال الفراء: خلت أصله من الخيال إذا تخيل لك الشيء، ثم أُعمل فى الاسم والخبر. ونقل إلى معنى الظن... " .
وعنى فى بعض الأضداد بإيراد معانيها الأخرى غير المتضادة، مثل^(٨) : " الظن يقع على معان أربعة: معنيان متضادان: أحدهما الشك، والآخر اليقين الذى لا شك فيه.. والمعنيان اللذان ليسا متضادين: أحدهما الكذب، والآخر التهمة. فإذا كان الظن بمعنى الكذب قلت: ظن فلان، أى كذب، قال الله عز وجل: " إن هم إلا يظنون".

وأكثر فى علاجه للمواد من إيراد الأحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله. قال فى "توسد" ^(٩) : وأنشد الفراء:

يا رب ساريات ما توسدا إلا ذراع العنس أو كف اليد

(٢) ١٠٥ .

(١) ٤ ، ٣ .

(٢) ١ .

(٣) ١١٥ .

أى كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة. وموضع اليد خفض بإضافة الكف إليها، وثبتت الألف فيها، وهى مخفوضة، لأنها شبيهت بالرحى والفتى والعصا، وعلى هذا قالت جماعة من العرب: قام أباك، وجلس أخاك، فشبهوها بعصاك ورحاك، وما لا يتغير من المعتلة. هذا مذهب أصحابنا. وقال غيرهم: موضع اليد نصب بكف، وكف فعل ماض من قولك: قد كف فلان الأذى عنا". وقال: "الأون حرف من الأضداد، يقال: الأون، للرفق والدعة، والأون: للتعب والمثونة... والمثونة أخذت من الأون، وهو التعب والنصب. والأصل فيه مأونة مفعلة، من الأون، فنقلت ضمة الواو إلى الهمزة، ويجوز أن تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة. فإذا قالوا هو عظيم المثونة فمعناه: عظيم التسكين والرفق. ويجوز أن تكون المثونة مفعلة من الأين، والأين التعب. قال الشاعر:

لا يغمز الساق من أين ولا نصب ولا يعرض على شرسوفه الصفر

وأصلها على هذا القول مأينة، فحولوا ضمة الياء إلى الهمزة، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما قبلها، كما قال الآخر:

وكنت إذا جرى دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق ويؤزرى

فمضوفة مفعلة من الضيافة، وأصلها مضييفة، ففعل بها ما فعل بمثونة. وتكون المثونة فعولة من مُتت الرجل، فتهمز الواو لانضمامها، كما قال امرؤ القيس:

ويضحى فتيتُ المسك فوق فراشها نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فنئوم فعول من النوم، همز الواو لانضمامها" وأمثال ذلك فى الكتاب كثيرة.

وعنى فى الحشو أيضا باللغات. فكان يقول: "أخبرنا أبو العباس قال: يقال: هو الباز، وهو البازى، فمن قال: هو الباز، قال فى التثنية: هما البازان والجمع البيزان، على مثال قولهم: الخال والخيلان، ومن قال: هو البازى قال

فى التثنىة: هما البازيان، وفى الجمع البُزاة على مثال القاضى والقضاة. قال أبو بكر: فى الباز لغة ثالثة لم يذكرها فى هذا الكتاب وذكرها لنا فى بعض أماليه قال: ويقال: هو الباز، بهمز الألف مثل الفأس والكأس، وتجمعه فى أدنى العدد من ثلاثة إلى عشرة فتقول: ثلاثة أبُوُز، كما يقول: أفُوس وأكُوس. فإذا كثرت فهى البُوُوز، كما تقول كُوس وفُوس. فجمع القلة على أفْعُل مثل الأفلس والأبحر، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوس والبحور. قال أبو بكر: فى الباز لغة رابعة، يقال: هو البازى، بياء مشددة تشبه ياء النسبة..”.

وكثر فى حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن قتيبة. وأقام ابن الأنبارى كثيرا من نقده على تعارض الأقوال المختلفة من اللغويين. فأورد أقوالهم وقارن بينها ليخلص إلى الرأى الصواب عنده، مثل^(١): “القرء حرف من الأضداد. يقال: القرء للطُّهر، وهو مذهب أهل الحجاز، والقرء للحيض، وهو مذهب أهل العراق. ويقال فى جمعه أقرء وقرء. وقال الأصمعى عن أبى عمرو: يقال: قد دفع فلان إلى فلانة جاريتته تقرئها، يعنى أن تحيض ثم تطهر للإستبراء. ويقال: القرء هو الوقت الذى يجوز أن يكون فيه حيض، ويجوز أن يكون فيه طهر... ويقال: قد أقرأت النجوم: إذا غابت. قال أبو بكر: وهذا حجة لمن قال: الأقرء الأطهار، لأنها خرجت من حال الطلوع إلى حال الغيبة” وقال الأصمعى وأبو عبيد: يقال: قد أقرأت المرأة: إذا دنا حيضها، وأقرأت: إذا دنا طهرها. قال أبو بكر: هذه رواية أبى عبيد عنهما. وروى غيره: أقرأت إذا حاضت، وأقرأت إذا طهرت. وحكى بعضهم قرأت، بغير ألف فى المعنيين جميعا. والصحيح عندى ما رواه أبو عبيد.”.

وقد رأينا - فيما سبق - أن ابن الأنبارى نقد بعض الأضداد، لأن المعنيين لصيغتين مختلفتين لا صيغة واحدة مثل فعل وأفعل، أو لأن المعنى الثانى للفظ غير شائع الاستعمال، أو لعدم وجود شواهد تدعم المعنى الثانى. ويمكن أن

نضيف إليها ما يحدد السياق معناه، مثل^(١): " قال قطرب: من الأضداد قولهم أَلَيْتَ المرأةُ تَأَلَى، إذا عظمت أليتها، وأليت الشاة وغيرها: إذا قطعت أليتها. قال أبو بكر: وليس هو عندي من الأضداد، لأن كل واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد، ولا يقع على معنيين متضادين".

وإذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الأنباري، وجدنا الأول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته، عنيفا في هجومه، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني. فابن الأنباري لا يقارن أقوال قطرب أو غيره من مؤلفي الأضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل بأقوال غيره من اللغويين. ولم يغفل ابن الأنباري أحدا، ولا حجب ثقته عنه، ولا عد أقواله من الاحتمالات كما فعل أبو حاتم. وبئنا كان أبو عبيدة هدف نقد أبي حاتم الأول، كان ابن قتيبة الهدف الأول لنقد ابن الأنباري.

ومن مظاهر قدرة ابن الأنباري في التمهيص حذفه ما حذف من أضداد ابن السكيت وأبي حاتم. فقد حذف من الأول أرقام ١٤، ١٧، ٨٧، ٩٦، ١٠، ١٠٣، ١٠٥. وكلها كان أبو حاتم قد حذفها، ورقم ٩٤ الذي أورده فيما شك فيه من أضداد، ولعل ذلك الذي دعا ابن الأنباري إلى تركه.

وحذف من أبي حاتم ثلاثة أنواع من الأضداد: أولها ما انفرد به، مثل ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٧، ١٦٦، ٢٤٢، ١٠٩، ١٧٣، ٢٤٦. وأكثرها مما شك فيه أبو حاتم نفسه، أو أقيم على أساس خاطئ ١٠٩، ١٦٦، ١٨٠، ٢٣٦. ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول، مثل ١٦٠ - ١٦٣. ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الأجوف، أو افتعل من المضاعف، مثل ١١٨، ١٧. وكان حذفه ما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها.

وأخيرا وفي "باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد" فأتى بالأنواع المختلفة من الشواهد: القرآن، والحديث، والشعر، والأمثال والأقوال، كما فعل سابقوه. وقد مرت علينا أمثلة ذلك. وعنى في كثير من الآيات والأحاديث بتفسيرها،

بإيراد سند أقواله. وكانت عنايته أكبر من عناية أبي حاتم. فكان يقول^(١):
أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم قال: حدثنا هشام بن عمار قال:
حدثنا أبو عبدالرحمن عثمان بن عبدالرحمن الجزري قال: حدثنا عبيد الله بن
أبي العباس، عن جويبر، عن الضحاك قال: سألت نافع بن الأزرق عبد الله بن
العباس عن قول الله عز وجل: {وأنتم سامدون} فقال: معناه لاهون. قال
نافع: وهل كانت العرب تعرف هذا في الجاهلية؟ قال: نعم، أما سمعت قول
هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادة حيث تقول:

بعثتُ عسَادَ لقيما وأبَا سَعْدِ مريدا
وأبَا جِلْهَمَةَ الخيـ سرفتي الحى العنودا
قيل: قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا

وكان يأتي بالشواهد على الأمور الاستطردادية في كلامه. ويعلق على الشواهد
ويشرحها ويطيل أحيانا، وقد يبين ما في الشواهد الشعرية من روايات. قال
مثلا في مادة "ماتت بجفح"^(٢): "وقال الشاعر يذكر ماء ورده:"

وردناه في مجرى سهيل يمانيا بصُـرِ البرى من بين جمع وخادج

فالجمع: التي في بطنها ولد، ويقال: بجمع بكسر الجيم. والخادج: التي
ألقت ولدها، ويقال: قد خدجت الناقة تخدج: إذا ألقت ولدها قبل أوان النتائج
وإن كان تام الخلق، وأخدجت تخدج: إذا ألقت ناقص الخلق وإن كان لتام.
وقال في "طرب"^(٣): وقال لبيد في معنى الحزن.

وأراني طربا في إثرهم طربَ الواله أو كالمختبل

معناه: وأراني حزينا. ويروى: أو المختبل. بالحاء: أى كالذى يقع في
حباله الصائد" والشواهد في الواقع كثيرة عنده جدا، معنى بها لدرجة كبيرة.

(١) ١٧.

(٢) ١٥٢.

(٣) ٥٧.

فكان يستقصى الاستشهاد على جميع أصداده. ولم يترك منها إلا الأضداد التي نقلها عن غيره بدون أن يكون مستشهدا عليها، أو فى المعانى المشهورة. وكان يصرح بأنه لا يستشهد على المعنى المشهور، لأنه ليس فى حاجة إلى ذلك. فكثيرا ما ترى العبارة التالية عنده: " لا يحتاج فيه إلى شاهد لشهرته عند الناس". أو "لا يحتاج مع شهرته إلى ذكر شواهد له" أو "شهرته تغنى عن إقامة الشواهد عليه" وما مائلها.

يتضح من كل ذلك أن قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت أصداد ابن الأنبارى بأنها أهم كتب الأضداد. فهذا الكتاب قريب من كتاب أبى حاتم، ولكنه يفوقه فى كثرة المواد، وحسن العلاج، وكثرة الشواهد وتنوعها، ودقة النقد وكثرته، وفى الاستطرادات التى تحوى كثيرا من الفوائد النحوية، عن أئمة الكوفة. ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال. الذى كان فى أربعة مظاهر:

١ - الاضطراب: فالمؤلف ينظم صيغة فَعُول لأن قطربا نظمها، ولا ينظم فَعِيل، لأن هذا لم ينظمها. وكان أبو حاتم نظم صيغتي افتعل وانفعل من الأجوف المضاعف، والمؤلف لا يفعل ذلك ٢٦٢، ٢٦٣، فلا يبين أنها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة، ويذكر ابن الأنبارى كثيرا من الألوان على أنها أصداد. لكنه يفرقها فى أماكن مختلفة، وحقها الجمع فى موضع واحد. ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها. وينطبق الكلام نفسه على الحروف والأدوات التى عدّها فى الأضداد، ويتصل بذلك تفريقه أشباه الأضداد، وكان واجبا عليه أن يفصل الأضداد عن أشباهها، ويضع كلا منها على حدة.

٢- التكرار: مثل الأخضر (٢٤٥، ٢٢٣) طلع (٢٠٢، ٢٥٧) وزعوم (٢٣٠، ٢٥٩) كسر الكلام عنها فى موضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالع) واختلافه فى (الأخضر) و(زعوم). وكرر عن فزع أيضا (١٢٩، ١٨٢) وإن اختار فى المرة الأولى صيغة (مفزع) وفى الثانية (فزع).

٣ - أصداد لا ينبه فى صدرها على ذلك. يبتدئ فى علاجها مباشرة، مثل ناء (٩٤) حتى اضطرب الناشر المصرى الأول فيها، وأتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها كأنما ليست مادة جديدة.

كتاب أبي الطيب اللغوى

(٣٥١)

ظهرت أول محاولة لترتيب الأضداد على يد أبي الطيب عبد الواحد بن على اللغوى الحلبي. فقد اطلع هذا اللغوى على كتب الأضداد السابقة، وجمعها أمامه، ثم نظر إليها نظرة ناقدة، خرج منها بكتابه. واذن فقد كان يرمى أبو الطيب إلى "إحكام تصنيفه، وإحسان ترصيفه، والزيادة على ما ذكر منه، وإلغاء ما خلط من غيره فيه، لتقوى مُتة القائلين به، ويضعف قول النافين له" كما يقول فى مقدمته. ويدلنا هذا على أن حركة التأليف فى الأضداد نضجت، ووصلت إلى مرتبة التفلسف والنقد، بدلا من الاقتصار على الجمع.

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهج المؤلف، إذ قسم كتابه إلى قسمين: الأول للأضداد المرضية عنده، والثانى للأضداد التى أدخلها السابقون وليست من الأضداد فى حقيقتها. قال فى مقدمته: "وترى من سبقنا إلى هذا الكتاب قد أدخل فيه ما ليس منه، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه".

أما الأضداد المرضية، أو القسم الأول من الكتاب - وهو الأكبر - فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم. ووضع فى كل فصل الألفاظ المبدوءة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الأسمى فيها. قال فى المقدمة "وقد رأينا أن نبوبه على حروف المعجم، إذ كانت همة أهل زماننا مقصورة عليه، وقلوبهم مائلة إليه، وخير ما تُحرى ما نفع، وأفضل ما انتُدب له ما شفى ونجّع. ولكن أبا الطيب اكتفى بترتيب الفصول، ولم يحاول ترتيب الألفاظ نفسها فى داخلها.

والقسم الثانى من الكتاب، الخاص بما أدخله السابقون من أضداد ليست منها فى الحقيقة رتبه أبوابا. كل باب منها خاص بنوع من هذه الأضداد. وبلغ عددها أربعة أبواب، أولها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من صيغة مفتعل ومنفعل من الأجوف، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من المدغم العين فى

اللام، وثالثها للمجازى، ورابعها للمقلوب. والهابان الأولان مرتبان على الحرف الأول أيضا، أما الأخيران فغير مرتبين..

وحين يلقى المرء نظرة على هذا الكتاب يجده مفتحا بمقدمة قصيرة، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من إحكام التصنيف وإحسان التصريف.. ثم تعريف الأضداد ويختتم بمنهجه والدعاء.

وتبدأ الأضداد بعنوان "الألف" الذى يشير إلى فصل الألف بالطبع.

ولم يسم المؤلف هذه المجموعات فصولا، ولكن وهبتها هذا الاسم للتيسير.

ويظهر منذ الضد الأول تحرى أبى الطيب الجمع والاستقصاء، إذ يقتبس فيه من جميع السابقين. قال: " قال أبو زيد: يقال: أمر أمم: إذا كان عظيما، وأمر أمم: إذا كان صغيرا، وقال الأصمعى: أمر أمم: أى قَصْد. وقال أبو عبيدة: القريب. وقال عمرو بن قميئة فى الصغير:

يا لهف نفسى على الشباب، ولم أفقد به إذ فقده. أمما .

وقال الأعشى:

لئن قتلت عميدا لم يكن أمما لنقتلن مثله منكم فنمثل

قالوا: معناه لم يكن صغيرا حقيرا. وقالوا. لم يكن قصدا. وأنشد قطرب فى

معنى القصد:

أتانى عن بنى الأحرا ر قول لم يكن أمما

أرادوا نحت أثلتنا وكنا نمنع الخطما

وأنشد أبو عبيدة فى معنى القريب:

يا ليت شعرى عنك والأمر أمم ما فعل اليوم أويس فى الغنم

قال أبو حاتم: أظنه والأمر قصد، وأنشد فى القريب:

" قومی ایاد لو أنهم أمم "

أى لو أن ، قرب ، وقال الأخر:

كوفية نازح محللتها لا أم دارها ولا صقب

ويروى: "لا سقب" بالسین أيضا: وهو قريب: ولذلك قالوا: دار فلانة مسقبة بدارنا: قريبة منها. وفي حديث الشفعة: "الجار أولى - أو أحق - بسقبة": أى بما دنا منه وقرب من داره".

ذكر أبا زيد، والأصمعي، وأبا عبيدة، وقطربا، وأبا حاتم.

ونستخلص من دراسة أصدقاء أبى الطيب الظواهر التالية:

الانتظام، فقد بلغت الأصدقاء عنده نضجها فى الدراسة، وغايتها فى الانتظام الداخلى، فالمعانى تقدم فى مفتتح المادة، ثم ترد الشواهد على المعانى. ثم تعالج المادة كلها.

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين. فيعتمد على الشعر كما رأينا فى المادة السابقة: ويعتمد على القرآن كما نرى فى قوله^(١): "ومن الأصدقاء بطانة الثوب، يكون بمعنى البطانة، وبمعنى الظهارة. وقال الحسن فى قول الله تبارك وتعالى: "بطائنهما من استبرق" قال: أراد ظواهرها. قال قوم: لأن كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها. تقول العرب: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، للذى نرى منها. وقال الزبير فى قتلة عثمان رضى الله عنه: "ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب" يعنى هربوا فى البلاد. وقال آخرون فى هذه الآية: إنما أراد الله تعالى أن بطائن هذه الفُرش من استبرق، وهو الغليظ الفاخر من الديباج، فالظواهر أشرف وأعلى والله أعلم بكتابه".

يعتمد على الأحاديث، مثل قوله فى مادة باع^(٢): "وروى ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " من باع

(١) ٦٧. وانظر فهارس الكتاب.

(٢) ٤٧. وانظر الفهارس.

عبدًا وله مال، فعاله الذى باعه إلا أن يشترط المبتاع " أى المشتري. فالمبتاع يكون بمعنى البائع، والمبتاع يكون بمعنى المشتري، والمبتاع يكون بمعنى المبيع، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المشتري. وفى حديث رواه ابن سيرين، عن شريح، عن ابن مسعود قال: إذا اختلف البيعان - يعنى البيع والمشتري - والبائع قائم بعينه، فالقول ما قال البائع، أو يترادآن البيع " . يعنى بالبائع الشيء المبيع. وفى حديث آخر: " البائع بالخيار" يزيد البائع والمشتري.. وفى حديث آخر رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا اختلف المتبايعان استحلّف البائع، ثم كان المبتاع بالخيار".

ويعتمد على أقوال الصحابة، كما رأينا فى ظهر، وكما نرى فى قوله^(١):
"يروى عن حذيفة أنه قال حين حضرته الوفاة: بيعوا لى كفنا، أى اشتروه لى".

ويعتمد على أقوال الأعراب والأقوال المتبادلة بين الناس فى حياتهم اليومية، كما رأينا فى ظهر، ونرى فى قوله أيضًا^(٢): " ذكر أعرابى جريرا فقال: كان سيفيرا أى حاذقا بالشعر".

ويعتمد على الأمثال أيضًا^(٣): "وبشرة الإنسان: ظاهر بدنه عندهم جميعا، والجمع بشرات وبشر... أبو زيد: تقول العرب فى مثل: " أراك بشرًا ما أحر مشفر" وبعضهم يقول: أولج مشفر. قال: سمعتها من رجل من بنى أسد يقول: ما أكلت استبان على بشرتك وفى لونك".

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها، كما نرى فى قوله:
" وقول الشاعر:

أمك بيضاء من قضاة فى الـ بيت الذى يستظل فى ظنبه

أراد نقيه من المعائب، ولم يرد أن يصف لونها. وكذلك قوله:

(١) ٤٥. وانظر الفهارس.

(٢) ٤٥. وانظر الفهارس.

(٣) ٧٤. وانظر الفهارس.

”سك بىضا، من نعاة قد تمت لها الوادات والنضد

النضد ها هنا: الأعمام والأخوان...“.

ونسب كثيرا من السوادد إلى من أنشدها كما رأينا فى أمم: ونرى فى قوله :
” الأسين: المؤتمن، والأمين المؤتمن، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول. وأنشد أبو
حاتم للنابغة فى معنى المفعول به.

وكنت أمينه لو لم تخنه ولكن لا أمانة لليماني”

واعترف أبو الطيب من أزداد سابقيه، وما أتوا به فى سبيل تفسيرها
وتعليقها ونقدها والاستشهاد عليها. وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل
قول إلى قائله، حتى فى الأحوال التى لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم، وجمع
بين عباراتهم، أشار إلى ذلك. فكان أكثر من جمع بين عبارته قطرب وأبو حاتم.
وجمع أيضا بين قطرب وأبى عمرو، وقطرب وأبى عبيدة. وجمع أحيانا بين
أقوال ثلاثة منهم معا، مثل قطرب وأبى حاتم والقوزى، وأبى عبيدة وأبى زيد
والأصمعي.

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا أن كثرت الأزداد عنده كثرة هائلة تعادل
كثرتها عند ابن الأنبارى، وأن تمثلت فى كتابه جميع الظواهر التى وجدت فى
كتبهم، فى الأزداد والشواهد والتفسير. بل إن ما جاءوا به ولم يرض عنه لم
يُخل كتابه منه، وجمعه فى آخر الكتاب.

ولكن ذلك لم يُلغ شخصية أبى الطيب. فما أكثر تعليقاته الشخصية التى
يورد بعضها عن لغويين آخرين، ويأتى ببعضها من معارفه العامة، ويقصد فيها
إلى زيادة التوضيح، والاعتراض، والنقد، والترجيح، وما إلى ذلك من أمور.

والحق أنه يعادل كتاب ابن الأنبارى قدرا وأهمية. ويفوقه فى اتجاهه
الأدبى، وكثرة شواهد وتنوعها، وكثرة الأحاديث عنده، وفوائده التى أضافها،
وإصراره على نسبة كل قول إلى صاحبه، وما أدخله على الأزداد من ترتيب.
أما ابن الأنبارى فيفوقه فى القرآنيات، والعلل اللغوية والصرفية، والعبارات
المؤلفة.

كتاب ابن الدهان

(٤٩٤ - ٥٦٩)

أعلن ابن الدهان (سعيد بن المبارك) في مقدمة أصداده أنه نظر في كتب السابقين عليه، فوجد فيها اختلالاً: إذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه، ويتركون ما يجب عليهم ذكره، ووجدوا مشحونة بالشواهد. فاستهدف أن يخرج مختصراً حاوياً للأضداد مجردة عن كل شيء. فهدفه الجمع والاختصار. ثم رد علي من أنكر الأضداد. واتبع ابن الدهان ما فعله أبو الطيب في ترتيب أصداده، فلم يراع فيها غير الحرف الأصلي الأول وأهمل بقية الحروف. ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورد اللفظ الضد يليه معناه. وعلق من وقت لآخر على بعض الأضداد بعبارة " وفيه نظر " دلالة على شكه فيها. وطبيعي أن الكتاب حوى الأنواع المتعددة من الأضداد، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة، التي أشار منها إلى كتب الأصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وثعلب والسجستاني وابن الأنباري رحمهم الله

وأمثل لنهج الكتاب بما يلي:

الماتم : النساء يجتمعن في الحزن، وفي الفرح، وفيه نظر.

إذ : للماضي والمستقبل، وفيه نظر.

إذا: للماضي والمستقبل، وفيه نظر.

الأمم والأمم: الحقيق والعظيم.

الآشرة: الآشرة والمأشورة".

كتاب الصغاني

(٥٧٧ - ٦٥٠)

في أوائل القرن السابع، أخرج الحسن بن محمد الصغاني كتاباً في الأضداد، وصل إلينا بتحقيق الأستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتح الكتاب بالعبارة التي يبدو أن الصغاني كان يفتح بها كتبه جميعاً مع البسمة والحمد، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام..

وصرح المؤلف فى مقدمته بأنه قرأ جميع كتب الأضداد، وذكر ما فيها، مع تحرى الاختصار والترتيب على حروف الألفباء.

ولم أعثر قبل الصغانى على كتاب فى الأضداد مرتب على الحروف فى جميع ألفاظه، فلعله أول من فعل ذلك. وكان ينظر فى ترتيبه هذا إلى أوائل الحروف، فحروفها الثانية، فالثالثة فالرابعة أى الترتيب الحديث المعروف لنا، مع تقديم الواو على الهاء. وكان لا يعتمد فى ترتيب الألفاظ إلا على حروفها الأصلية. أما الزائدة فلا اعتبار لها عنده. ويبدو من عباراته الأخيرة أنه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون فى كتبهم بدون تمحيص أو نقد، فهو لا يقبل المرضى وحده، ويحذف المشكوك فيه، بل يقبلهما معا. وقد أشار إلى ذلك مرة ثانية فى خاتمة كتابه القصيرة التى قال فيها: " آخر كتاب الأضداد، ولله الحمد والمنة. وفيه كلمات ليست هى عندى من الأضداد، ولكنى قفوت فيه آثار من سبقنى إلى جمعها مثل ابن الأنبارى وغيره، حذار أن يقال: أهمل شيئا مما أثبتوه، فليمهد العذر العائزُ عليهما، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا.

وحين ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه فى الخطوة الأولى جمع ٣٣٧ ضدا، ولكنه لم يذكر كل ما فى أضداد قطرب وابن السكيت وأبى حاتم وابن الأنبارى. فقد حذف من الأولى حوالى ٦٧ ضدا، ومن الثانية حوالى ١٠ ضداد، ومن الثالثة حوالى ٥٥، ومن الرابعة حوالى ٤٠ ضدا. وأتى فى مقابلها بقريب من ٧٥ ضدا، ليست فى هذه الكتب الثلاثة. ولا يقوم هذا الحذف على أساس الشك والنقد، إذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه. أضف إلى ذلك أن كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفى الأضداد (٢٠، ٢٢٥، ٢١٧، ٧٧، ٢٢٦، ١٩٣، ٢٠٥، ٦٠، ٢١٩، ١٢٧، ٢١٠، ١٨٥، ٨٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢١، ٢٤). ولكن تجب الإشارة إلى أن كثيرا مما حذفه خاطيء (٢٣١، ١٨٠، ١٦٦، ١٠٩، ٢٥٥، ٢٨٦) أو مشكوك فيه (٢٥٩، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٤٤، ٢٧٠، ٢٦٦، ١١٨، ١٧٥، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٧١) أو انفرد به

قائلوه (١٦ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ٩٦ ، ١٧) وأكثر ما حذفه من أزداد ابن الأنبارى ،
أو ينطوى تحت صيغ فمول (٦٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٥) أو فعيل (٢٠٣ ، ٢٠٤ ، أو افتعل (١٧٥) .

أما المنهج الذى سار عليه فغاية فى البساطة : إيراد اللفظ بمعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد لك . فلا ذكر للغويين الذين يأخذ عنهم إلا قليلا (٤٩٠ ، ٦٨٨ ، ٧٠٦) ولا ذكر لشواهد ، ولا لمشتقات ولا لمعانٍ أخرى للأزداد ، ولا لفوائد وزيادات وأحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته "متن الأزداد" .
وهاك بعض الأمثلة :

" الأَبْضُ : السكون والحركة .

الأَهْلُ : الرُّطْبُ واليَبِيسُ .

المَأْتَمُ : النساءُ المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .

الإِرَّةُ : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها أيضا .

الأَزْرُ : القوة والضعف .

أَسِدٌ : إذا جزع وجبن ، وإذا جسر كالأسد .

أَفِدٌ : إذا أسرع وإذا أبطأ .. " إلى آخر الكتاب .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الألفاظ عنده . فقد قدم "أون" على "أور" و "تصدق" على "صامت" و"قانص - قنيص - قانع قنوع" على "قمؤ" والعكس أصح . كما قدم "ناء" والأصح وضعها فى النون مع الواو .

كتاب عبد الله بن محمد

تقتنى دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الأزداد عنوانها : " ذكر بعض الأزداد التى ذكرت فى القاموس " جمع من يسمى " السيد عبد الله بن محمد... " تحت رقم ٢٤١ مجاميع وهى ورقات ، ناقصة من آخرها . إذ وقفت فى أثناء مادة "الفتين" .

رواضح من : وانما أن المؤلف جمع ما فيها من أضداد من القاموس المحيط للفيروزآبادي، إذ يبدو أنه في أثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الأضداد يعثر عليه. ولم يختر المؤلف الأضداد التي نبه عليها الفيروزآبادي وحدها، بل اختار أيضا الألفاظ التي روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على أنها من الأضداد. ولم يغير المؤلف في ترتيب الألفاظ التي اختارها من القاموس، فبقيت على ترتيبها فيه، أي على الحرف الأصلي الأخير أولا، فالحرف الأصلي الأول ثانيا، فحروف الوسط الأصول مرتبة.

وسار المؤلف أيضا على نهج القاموس في العناية بالتفسير وحده، وحذف الشواهد. فكان يورد اللفظ ثم معنييه المتضادين. وكان في غالب الأحيان يحافظ على نص القاموس أيضا. وهذه بعض الأمثلة من باب الهمزة منه، يؤكد ما سبق من أقوال: " ثأثا الإبيل: عطشها وأرواها. وثأثأت: عطشت ورويت. جفا الباب: أغلقه وفتحته كأجفاه. حجيء: استحيا وتكلم بالفحش. ودأدا الشيء: حركه وسكنه. دارأته: دافعته ولا ينثته. رقا بينهم: أفسد وأصلح. القرء: الحيض والطهر. ناء بالحمل: نهض مثقلا، وأثقل فسقط. وراء: خلف وقدام."

كتاب محمد المدنى

(١٢٠٠)

تقتنى المكتبة السليمانية بالآستانة رسالة أخرى في الأضداد للشيخ محمد ابن محمود المدنى، تماثل الرسالة السابقة أو تكاد، تحت رقم ١٠٤١. وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها، ولكن لها خاتمة أخذ جزءا منها من المزهرة للسيوطى، ومن أضداد ابن الأنبارى. وصرح فيها: " وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة، واستخرجت ما صادفته، ولم أدع الإحاطة".

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقا يذكر، لاعتمادها الرئيسى على القاموس المحيط فى الأضداد، وترتيبها وتفسيرها، ومثال ذلك قوله:

ثأثا الإبل: أروادا رعطشها ضد. رثأث أ: الإبل: عضشت ورويت ضد. جفا
الباب: أغلقه كأجفاد وفتحته ضد. دارأته: داريقته ودأثعته ولا ينقته ضد. رقا
بينهم رقا: أفسد وأصلح ضد. القرء وبضم: الحيض والظهر ضد.

دورق الأنداد للإبيارى وشروحه

(١٣٠٥)

وفى أوائل العصر الحديث شارك الشعر فى حركة الأضداد، فألفت فيها
الرسائل المنظومة. ووصل إلينا من هذه الحركة رسالتان. أولاهما المسماة " دورق
الأنداد فى نظم أسماء الأضداد" للسيد عبد الهادى نجا الإبيارى المتوفى عام
١٣٠٥هـ. وقد ألفه قريبا من عام ١٢٩٧، إذ تمت النسخة الثانية منه على يد
الناظم فى ضحوة يوم الثلاثاء تاسع شوال من ذلك العام، كما تصرح نسخة دار
الكتب المصرية، التى تحت رقم ٨٤٤ لغة.

والسبب الذى دفع الإبيارى إلى تأليف نظمه إعانة الأدباء الذين يرمون إلى
التأنق بالجناس والتورية والمحسنات. وأما المراجع التى اعتمد عليها فالقاموس
المحيط للفيروزآبادى وشروحه، قال الناظم فى مقدمة قصيدته:

وقد تيسر لى فى جمعها جمل تجمل المجتنى من روضها كلما
كل الذى ذكر القاموس جئت به إلا الذى بصرى قد زاغ منه وما
وزدت أشياء من شراحه وسوا ها، هكذا منه، لكن بالذى فهما
حتى ظننت بأن لم يبق قط من ال أضداد شىء، ولكن يا أخى ربما

وشرح لنا الناظم منهجه فى المقدمة أيضا، فعرفنا بأنه لم يلتزم الألفاظ
الواضح تضاد معانيها وحدها، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجوز
وتوسع، وإن نقده فى أحيان أخرى، قال:

وربما كان فى بعض الذى ذكروا تسامح بعموم أو بما لزما
فأقتفى إثرهم طورا، وآونة أبدى الذى يتراءى فيه للفهما

ولم يلتزم إيراد المعنيين المتضادين فى كل لفظ من الأضداد، بل حذف أحيانا المعانى المعروفة المشهورة واكتفى بإيراد المعانى غير المعروفة، قال:

طورا أجيء بكل المعنيين وطورا بالذى كان مجهولا ومُنَبِّها
فإن تعددت الأضداد جمعت بما يُغنى عن الضد من كل، لِيُنْفِها

ويريد بالبعث الثانى - كما نص شارحه - : " إن كثرت الأضداد بأن كان اللفظ مشتركا بين أربعة معان مثلا، كل معنيين منهما متضادان، جئت من الأربعة مثلا بما يغنى عن الضد من كل منهما، وذلك أنى أذكر معنيين فقط: كل منهما محذوف الضد لينفهم المحذوف بالمذكور".

وسار فى ضبط ألفاظه على هدى القاموس المحيط، قال:
ينبىك قاموسها بالاصطلاح لها إذ منه مرجانها واللؤلؤ انتظما
ما كان مهملا أو مفتوحا أوله قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما
فإن ضرورة شعر قد دعت لسوى هذا، أشرت إليه خوف أن تهما
واتبع ترتيب الفيروزآبادى وتقسيمه لقاموسه، فالكتاب مقسم إلى أبواب بحسب الحرف الأخير للكلمات التى فيها. وترتب الكلمات فى داخل هذه الأبواب بحسب حروفها الأولى فالوسطى. ولكن الشعر أرغمه أحيانا على الإخلال بهذا الترتيب فى داخل الأبواب لا بين الأبواب. أعنى الإخلال فى ترتيب الحروف الأولى، أو الحروف الوسطى، أما الحروف الأخيرة فلا.

وهاك قدرا مما قاله الناظم فى "باب الهمزة" لتبرز معالم منهجه:

بغرة الشهر فُسِرَ البراء كذا بالأنس فسِرَ بساء واكسِرُنْ لهما
ثم البلاء لمنحة أتى ولمحـــــــنة، كما جاء فى القرآن منفيهما
ثالثات إبلى: أى أرويتها، وكذا ثالثات هى: أى أضحت ذوات ظما
والاجتداء بسؤال فسروا وعطا كذا الجداء، قاله القالى عن العلماء
وأجفا الباب: أغلقه، ودأداه معناه حرك، والتسكين قد فهما
دأرات خصمى - مهموزا، كذاك بيا - دافعته، وكذا لاينته كرمها

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيدته فى كتاب سماه "الرونق على الدورق" أكثر فيه وأطال واستطرد. ولكنه - فيما يبدو - لم يتمه ، وإنما أعطانا وصفه أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلوانى، فى مقدمة شرحه للدورق. قال: "وكان - حفظه الله - قد ابتدأ شرحه الموسوم بالرونق على الدورق، لكنه طال وسار بل سال، فى رياض الأدب الغوال، عن يمين وشمال. فإنه التزم فيه تحف المناسبات الظريفة، وطرق الاستطرادات الشريفة، وحقق ودقق، ونمق وأنق، وحرر وحرر، ونضد ونضر، ونثر الدر والجوهر، فأكثر... فقد رأيت منه أربعة كراريس، يبذل الأديب فى مثلها النفس والنفيس. ولكنه زهر فى الأكمام، وطفل لم يبلغ حد الغطام.."

ورجا المؤلف من الحلوانى أن يؤلف شرحا مختصرا على قصيدته. فحقق الرجاء بكتابه الذى تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم ٨٤٤ لغة، بعنوان "الكأس المروق على الدورق"، وقد فرغ منها "يوم السبت الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وثلاث مئة وألف من الهجرة الشريفة".

وحدد الحلوانى خطوات منهجه بقوله فى مقدمته: "فشرعت فى الشرح وما أطيئه، فالمقصود الدورق وهو سبيله. إلا أنى إن ظفرت بشىء من الأضداد، فى باب من الأبواب، فإنى أذكره تكميلا للمراد، فى خاتمة ذلك الباب. ولا التزم فى أخذه من نحو القاموس أو تاجه: أن تكون نصا فى الضدية، سيراجع الدورق فى منهاجه من اعتبار العبارة الاشارية. ولا التزم أيضا الاستقصاء، فإنى إن رمته استعصى، كيف واللغة بعيدة الساحل، مديدة المراحل...؟ ولكن ما جاء عفوا أخذته صفوا. ثم لا ترانى معاذ الله أعمد إلى مقام مشهور، مجته أسمع الجمهور، فأسود به وجه السطور، فذلك مما ينفر الطباع، ويكدر الأسماع. ويكون عارا لا يحويه اعتذار ولا استشفاع، اللهم إلا إن كان من الحقوق الواجبة، أو سيق لمناسبة، أو نكتة مناسبة، فالشىء بالشىء، والشمس بالفىء، فهذا لا أتحاماه، بل أحمى حماه، وأتقى أذاه، إلى ما ستراه، إن شاء

الله، من الإلماع، بما يسحر الأسماع، من تحقيقات شريفة، وتدقيقات ظريفة.. تراها مرة شرعية، وكرة أدبية. وطورا يمانية، وحيننا معدية... يرتاح إليها الفقيه ومن هذا حذوه، واللغوى ومن لنا نحوه..".

ودأب الرجل فى هذا الشرح على معالجة نص الناظم نحويا وعروضا وتفسيره تفسيرا كاملا، وتناول كل ما عَنُّ له من مشاكل فى النص. فهو يقوم على طريقة المتون والشروح والحواشى التى كانت تسود العهود الأخيرة من تاريخنا. وصدر كل باب بكلمة عن عنوانه.

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة أخرى فى نظم الأضداد، تحت رقم ٣٢٩ لغة، باسم "منبه الرقاد فى ذكر جملة من الأضداد" لا يُعرف مؤلفها. وقد تم نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثلاث مئة وألف، كما فى آخرها.

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة فى عدة مظاهر، أولها أن هذه من المزدوج الذى يقفى شطراه وحدهما، وتختلف القافية فى الأبيات بعد ذلك. أما السابقة فكانت من بحر البسيط، والتزمت فى رويها الميم المشبعة الفتحة. واتفق الاثنان فى الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها منهجه. ولكن المنهجين لا يتفقان تماما. فقد صرح ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بأن قصده بها علمى هو تنبيه الغافلين والجاهلين - ومن ثم اسمها - على حين كان مقصد الإبيارى أدبيا علميا كما رأينا. يقول ناظما:

ويعد فالقصد بهذا النظم تنبيه كل غافل وأمى
سميته منبه الرقاد فى ذكر جملة من الأضداد

وأراد ناظمنا - كما أراد الإبيارى - الجمع. ورجع فى سبيله إلى القاموس
والصّاح وكتب ابن جنى على حين رجوع الإبيارى إلى القاموس وشروحه. يقول
الناظم فى المقدمة:

أحسب ما وجدت منها مع قصور وغيبتي عن فناها مع الحضور
وأحسب هنا بمعنى أعد، ويقول فى الخاتمة:

معتداً ضبطى على القاموس لأننى فى الفن كالبابوس
وفى الصّاح جاعلاً مجئى وربما أخذت فى ابن جنى

وجعل من خطته ذكر المشتقات المرتبطة بالأضداد وخاصة المصادر
والصفات، على عكس الإبيارى يقول:

ربما أومى للاشتقاق والقصيد إن كان للإطلاق
وللمصادر فأضبط آلكلم والوصف مع بعض اللغات المخبم

وخصص الجزء الأخير من قصيدته للألفاظ المتماثلة - أى الكلمات المتماثلة
المعنى مع تغيير بعض حروفها بالإبدال - وبالمقلوبة، يقول:

وللمماثلين والمقلوب عونك يا مقلب القلوب

ولجأ فى تقسيم قصيدته إلى التقسيم الذى ارتضاه صاحب القاموس،
والإبيارى. فالقصيدة مقسمة إلى أبواب بحسب الحرف الأخير من الأضداد التى
يحتوى عليها كل باب، والألفاظ ترتب فى داخل الأبواب بحسب حروفها
الأولى، وأواسطها. ولكن الترتيب كثيراً ما أفلت منه فى داخل الأبواب.

وختم القصيدة بخاتمة أشارت إلى انتهاء ما يريد نظمه، وأشياء من منهجه،
والدعاء إلى الله أن يغفر ذنوبه، والصلاة على الرسول وآله وصحبه والتابعين.

وهذا باب الهمزة منه، يمثل تناوله ونظمه:

ثأثا ذا إبْلَه : ارواهما كذا إذا أغزى بها صَداها
 وثأثات هي : إذا ما رويت يوم ورودها، كذا إن عطشت
 وجفأ الباب : إذا ما أغلقه كذا إذا فتحه، فحقيقه
 دارأت ذا : دفعته لشـره كذا إذا لاينقه لعـره
 رقا : أفسد وأصلح، خذ والمصدر الرقوء، والرُقء انبذ
 والقرء، بالفتح وبالضم أتى يكون للحيض وطهر ثبثا
 وناء زيد : خفٌ أو قد ثقلا فمجز الحال به بين الملا
 ثم الوراء بهمز لا اعتلال يكون خلف وأمام تالي
 عكس الذى توهم الإمام الجوهرى العالم الهمام

ويتضح من هذه الأبيات أن الناظم خالف الإبيارى فى عدة مظاهر: أهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين فى كل لفظ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع الأبيات، ثالثها الإشارة إلى المشتقات مثل مصدر الرقوء، رابعها الضبط واللغات فى القرء، خامسها نقد الجوهرى فى "وراء" إذ جعلها مع المعتل وأصلها الهمز، وقد أخذ هذا النقد من الفيروزآبادى، سادسها أنه يترك بعض الأضداد التى ذكرها الإبيارى، أى عناية الأخير باستقصاء الأضداد أشد من عناية صاحب "المنبه". ومن أهم أوجه الخلاف أيضا شعور المرء - بأن قصيدة صاحب "المنبه" أشد سلاسة، وأعظم وضوحا، وأقل تكلفا من قصيدة الأبيارى.

وهناك أوجه خلاف أخرى لم تظهر فى الأبيات السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها، أهمها اهتمام صاحب "المنبه" بذكر المعانى التى لا تدخل فى المعنيين المتضادين للأضداد مثل قوله:

الأزر للضعف والقوة قل وللإحاطة وللظهر نُقل

فمعانى الشطر الثانى لا تدخل فى الأضداد، وقوله:

وبتر الرجل : أعطى ومنع كذا إذا صلى الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين، وكذلك قوله:

والشع - بالكسر-: قبال النعل ولقليل المال ثم الجل

فشع النعل ليس من الأضداد. وأمثال ذلك كثيرة، ولم يعن الإهبارى بها.

ويعيب هذه القصيدة أمران: قلة الأضداد فيها عما فى الدورق، وكثرة الاضطراب فى الترتيب، كما يظهر فى باب الباء، والحاء والذال، والراء، والسين، والضاد، والعين وغيرها.